مجلة معهد الإمام الشاطبي

بلاغة الوصف بالمصدر في القرآن الكريم

إعداد

د محمد بن راشد بن حمد الصبحي

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والبلاغة –كلية اللغة العربية– الجامعة الإسلامية

* من مواليد عام ١٤٠٦هـ بمحافظة بدر بالمدينة المنورة.

- تخرج في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٢٩هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم الأدب والبلاغة كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية عام ١٤٣٤هـ بأطروحته: "**مسائل علم المعاني في كتاب فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب المعروف بـ(حاشية الطيبي على الكشاف)**"، كما نال منه شهادة الدكتوراه عام ١٤٣٨هـ بأطروحته: "**الصورة البيانية في شعر قبيلة بني أسد إلى نهاية العصر الأموي**".
- من أعماله المنشورة: "**بلاغة المفردة القرآنية عند الإمام البسيلي في كتابه (نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد)**".
- البريد الشبكي: **PHD.M.ALSOBHI@GMAIL.COM**

الملخص

ما زالت بعض مسائل النحو يُظن أنها خاصة به دون أية محاولة لأن تُدمج في كيان البلاغة رغم ما فيها من دقائق بلاغية، وتأتي هذه الدراسة محاولة من الباحث لتسليط الضوء على هذا الأسلوب وتبيان ما فيه من بلاغة مستعيناً بكتب التفاسير وإن كان ما ورد فيها عبارات موجزة، فهو من الأساليب التي لم تعتني بها البلاغة التنظيرية.

عرّف الباحث في التمهيد بمصطلحات البحث، ثم تناول هذا الأسلوب في الدرس النحوي، ثم عرج عليه في الدرس البلاغي، وذكر ما للبلاغيين من جهود في الإشارة إليه وتبين قيمته، ثم ذكر أنَّ هذا الأسلوب ورد في القرآن في خمسة أساليب، وقع كخبر للمبتدأ، ووقع حالاً، ووقع نعتاً، ووقع مفعولاً به، ووقوع مضافاً، ثم ختم البحث بذكر أهم النتائج التي توصل لها، وسار في بحثه على المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الوصف- المصدر- وقوع المصدر خبراً- وقوع المصدر حالاً- النعت بالمصدر.

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد.**

للبلاغة منزلة رفيعة عند المتكلم والمتلقي، فالمتكلم يحاول من خلال توظيف أساليب البلاغة إيصال أفكار ورؤى ومشاعر إلى المتلقي لعله يقتنع أو يشعر بما قر في نفسه من مشاعر وأفكار يعلم أنَّ الكلام عاجز عن إيصالها مهما بلغ المتكلم شأواً كبيراً في الفصاحة والبلاغة، ولذا يوظف أساليب علم المعاني والبيان أو النظم عموماً محاولة منه لإيصال أفكاره في أكبر قدر ممكن من الزخم الفكري والمعنوي وقوة المشاعر والأحاسيس، وفي المقابل يتوقع من المتلقي المتذوق والمحيط بأسرار اللغة والجمال الوصول إلى مراده الدقيق مما لم ينطق به أو يساعد الوزن الشعري على رصفه في البنية الشعرية أو تدفعه الرغبة في الإيجاز إلى الثقة بعقل المتلقي، وإذا كان هذا من خصائص الكلام البشري، فإن كلام الله ﷻ يشمل من البلاغة ألوان متنوعة وأساليب مختلفة تشهد بإعجازه خصوصاً في إيصال المعاني بدقة متناهية، وكان للعلماء والمفسرين جهود كثيرة في قراءته ودراسته ومحاولة الإحاطة بمضامينه، وتتبع البلاغيون ما فيه من أساليب أدخلوها ضمن البلاغة التنظيرية إلا أنَّ هناك أساليب لم تحظَ في المقابل بأية عناية، وإنما هي إشارات ولمحات هنا أو هناك دون أن يُؤصل القول فيها رغم ما فيها من دلالات معنوية تُسهم في دقة المعاني المرادة.

مشكلة البحث:

من الأساليب التي قَلَّ اهتمام البلاغيين بها رغم أنّها مما خرج عن ضوابط النحويين وانزاح الأسلوب فيها عن الأصل في التعبير، ورغم وروده في القرآن الكريم والشعر العربي إلا أنّني لم أجد لهم كلاماً وافياً في هذه المسألة (مسألة الوصف بالمصدر) من وجهة التحليل البلاغي، وهي من المسائل الغنية بالمعاني حسب السياق الذي وردت فيه، وأكثر المعاني وروداً هي المبالغة، ولكن لا يُفهم

المراد منها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه؛ لأنّه الكاشف والمثري للمعنى، بالإضافة إلى أغراض أخرى يحتملها سياق الكلام بينت الكثير منها في مواضعها.

وبحثي هذا أتى لتتبع هذا الأسلوب في تراكيبه المختلفة، ومحاولة لكشف الأسرار البلاغية المنطوية خلف تخصيص هذه الآيات بالوصف بالمصدر دون المشتق.

أسباب اختيار الموضوع:

١- إضافة أسلوب فيه من الدقائق البلاغية الشيء الكثير إلى المكتبة البلاغة القرآنية عن طريق دراسة توظيفه في القرآن الكريم.

٢- مزواجة الطرح البلاغي بالطرح النحوي عن طريق تبيان جهود علماء الفنين في طرح هذا الأسلوب، ومحاولة الكشف عن مكانته وعن خصائصه، وأنّ للنحويين نظرات بلاغية في هذا الأسلوب.

٣- تبيان جهود المفسرين في تناول هذا الأسلوب، وقد كان لكبار المفسرين نظرات دقيقة في كشف مضامين هذا الأسلوب، مع الأخذ بعين الاعتبار أن عباراتهم مقتضبة.

٤- الإحاطة بأقسامه التركيبة المختلفة، فهو وإن كان أسلوباً واحداً، إلا أن في داخله تراكيب متنوعة تُشكل بنيته الكلية، وبينها فروق دقيقة تكشف عنها هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

الوصف بالمصدر للدكتور/ أحمد عبد الستار الجوادي، وهو بحث نشره في مجلة مجمع اللغة العربية ببغداد عام ١٩٨٤م، تناول فيه هذه الأسلوب من الوجهة النحوية، فذكر خلاف النحاة في سماعيته وقياسته، وأهم الشواهد التي وردت في القرآن دون تحليل.

خطة البحث:

التمهيد، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مدخل إلى مفاهيم البحث.

المطلب الثاني: الوصف بالمصدر في التنظير النحوي.

المطلب الثالث: الوصف بالمصدر في التنظير البلاغي.

المبحث الأول: وقوع المصدر خبراً للمبتدأ أو لنواسخه.

المبحث الثاني: وقوع المصدر حالاً.

المبحث الثالث: وقوع المصدر نعتاً.

المبحث الرابع: وقوع المصدر مفعولاً به.

المبحث الخامس: وقوع المصدر مضافاً.

الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.

وختمت البحث بفهرسين:

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

وأما منهج الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي، مع الإفادة من المنهج الاستقرائي والاستنباطي، فقد تتبعت هذا الأسلوب في كل الآيات القرآنية، وصنفتها في خمسة مباحث، وإن كان المشهور أنَّها ترد في ثلاثة أبواب، إلا أنني بتتبعها في كتب التفاسير وجدتهم يذكرونها في أبواب خمسة تختلف فيما بينهما كماً، مع التحليل لها وتفصيل القول وذكر السر البلاغي لهذا العدول.

المطلب الأول: مدخل إلى مفاهيم البحث

سأتناول ثلاثة مفاهيم أولها متعلق بعملية توصيف هذا المصطلح وتقريبه في

أذهان السامعين والقُراء وتميزه عن بقية المصطلحات، والثاني في مفهوم المصدر، والثالث متعلق بالغرض الأبرز الذي يرد في سياق تحليل شواهد هذا الأسلوب، وهو المبالغة.

أولاً: مصطلح الوصف، وسأعرف به من جهتين:

أ- المفهوم اللغوي: يدور مفهوم هذه الكلمة في اللغة حول التوضيح والكشف عن ماهيات الأشياء وتحليتها[١].

ب- المفهوم الاصطلاحي: للوصف مفهومان، عام وخاص، **فالعام هو:** كل ما فيه معنى الوصفية، سواء أكان تابعاً أم لا، فيدخل فيه الخبر والحال ويُسميان الوصفان[٢]؛ لأنَّهما يكشفان بدقة عن المراد، فالخبر مُنزل منزلة الوصف، ولذا كان تابعاً للمبتدأ في الرفع كما تتبع الصفة الموصوف[٣]، وهو في الحال على ضربين، مشتق ومأول[٤]، وهذا هو مجال البحث، وأما الخاص فهو التابع (النعت) ويدخل ضمن المفهوم العام.

ثانياً– مصطلح المصدر: ويُقصد به: «اسم الحدث الجاري على الفعل»[٥]، وهو الأصل، والفعل فرع عنه، وهي قضية خلافية بين النحاة أيهما الأصل، ويتعلق البحث هنا بالمصدر الأصلي الدال على المعنى المجرد، ويخرج منه المصدر الميمي كما سيرد في البحث، والمصدر الصناعي.

ثالثاً– مصطلح المبالغة: تُعد المبالغة من أكثر الأساليب وروداً في حقلي النحو والبلاغة، ولها مفاهيم مختلفة، إلا أنَّ مفهومها هنا **هو:** «أن تبلغ بالمعنى أقصى

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (٦/ ١١٥).
(٢) شرح الرضي على كافية ابن الحاجب (٣/ ٨).
(٣) يُنظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (٤٣).
(٤) المقاصد الشافية للشاطبي (٣/ ٤٢٢).
(٥) أمالي ابن الحاجب (٥٣٥).

غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه»[١]، أو «أن تثبت للشيء وصفاً من الأوصاف تقصد فيه الزيادة على غيره، إما على جهة الإمكان، أو التعذر، أو الاستحالة»[٢]، وهي المفاهيم البلاغية الثلاث؛ التبليغ والغلو والإغراق، وذلك عن طريق العدول إلى أساليب تساعد في تشكيل هذا المعنى وإيصاله إلى المتلقي في إيجاز دقيق، أو ما سماه الرماني تغيير في أصل اللغة للتدليل على كبر المعنى[٣]، والمقصد هنا هو التغير من الأساليب المتداولة إلى أساليب ست عددها تُشكل في بنيتها التركيبية أضرب المبالغة لديه، ولكن ما ذكره هو جزء من كل، ولذا ذكر الدكتور شوقي ضيف (١٤٢٦هـ) أنَّ هذه القسمة السداسية هي المبالغة القرآنية[٤]، وهذا فيه نظر، فإن أساليب المبالغة في القرآن أكثر من ذلك، فهي في الحرف والكلمة والتركيب، ومنها الوصف بالمصدر الذي يُوظف في الكلام لأجل إيصال فكرة المبالغة في المعنى، والتي تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه، فقد تكون للتدليل على شدة في صفة معينة، أو كثرة فعل جعلهم ذلك كأنهم نفس الفعل، ويأتي لغير ذلك غير ذلك من الأغراض التي سيكشف عنها البحث.

المطلب الثاني: الوصف بالمصدر في التنظير النّحوي

قرر النُّحاة أنَّ الأصل في الوصف أن يكون بالمشتق، ومجيئه بالمصدرية خلاف الأصل[٥]، فإنَّ الذات لا يُخبر عنها بالمعنى أو الجوهر لا يُخبر عنه بالعرض[٦]،

(١) الصناعتين لأبي هلال العسكري (٣٦٥).

(٢) الطراز للعلوي (٣/ ١١٩)، ويُنظر نقد الشعر لقدامة بن جعفر (١٤١).

(٣) النكت في إعجاز القرآن للرماني (١٠٤).

(٤) البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف (١٠٧).

(٥) المسائل السفرية لابن هشام (١٤).

(٦) يُنظر سر صناعة الإعراب لابن جني (٢/ ٣٦٢)، وحاشية الصّبان (١/ ٣٢٤)، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش (٣/ ١٢٧٢).

وهذه قاعدة طبقها النحاة في ثلاثة أساليب من الكلام[١] **هي:**

١-مجيء المصدر خبراً: ذكر ابن مالك (٦٧٢هـ) أنَّه لا يجوز الاخبار عن الذات بالمعنى إلا مجازاً[٢]، ويقصد مجاز الحذف على تقدير حذف المضاف إذا كثر منه الحدث[٣]، ونصَّ سيبويه (١٨٠هـ) على أنَّه مجاز عقلي من خلال ربطه بقولهم:(نهارك صائم) و(ليلك قائم)[٤]، وجعله أبو حيان (٧٤٥هـ) على الاتساع[٥]، وهذا المصطلح كثيراً ما يرتبط بالمجاز في كلام العلماء[٦]، ولكن الثاني منهما أوسع مفهوماً من الأول فهو يضم المجاز وغيره كما يظهر في تطبيقات النحويين والبلاغيين[٧]، وجعل المعنى هو الحدث دون تقدير المضاف[٨]، وهذا الرأي رجحه ابن جني (٣٩٢هـ) وذكر أنَّه هو الأنسب لما فيه من قوة الدلالة[٩]، وأوله قلة منهم بالمشتق؛ **أي:** باسم الفاعل واسم المفعول[١٠].

٢- مجيء المصدر حالاً: يرى أكثر النحاة سواء من البصريين أو الكوفيين قصر وقوع المصدر حالاً على السماع، ولا يجوز القياس عليه[١١]،وعلتهم في ذلك أنَّ من

(١) يُنظر المقاصد الشافية للشاطبي (٤/ ٦٤٥).

(٢) شرح الكافية الشافية لابن مالك (٢/ ٦٦٦)، والتذييل والتكميل لأبي حيان الأندلسي (٤/ ٣٤٨).

(٣) يُنظر الحلبيات لأبي علي الفارسي (١٩٨)، والمقتضب للمبرد (٣/ ٢٣٠)، وشرح الكافية الشافية (٢/ ٦٦٦)، وشرح الأشموني (١/ ٤٧٦).

(٤) الكتاب لسيبويه (١/ ٣٣٧).

(٥) التذييل والتكميل (٥/ ١٥٧).

(٦) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (٢٩٣).

(٧) يُنظر الجملة والمعنى للدكتور فاضل السامرائي (١٦٣-٢٠٢).

(٨) الخصائص (٣/ ٢٥٩).

(٩) المصدر السابق (٢/ ٢٠٣).

(١٠) شرح كتاب سيبويه للسيرافي (٢/ ٢٢٧).

(١١) توضيح المقاصد والمسالك للمرادي (٢/ ٦٩٧)، وشرح التسهيل لابن مالك (٢/ ٣٢٨)، وهمع الهوامع للسيوطي (٤/ ١٤)، وتمهيد القواعد لناظر الجيش (٥/ ٢٢٦٦)، وأمالي ابن الحاجب (٢/ ٧٤٥).

أوصاف الحال أن تكون نفس صاحبها في المعنى، وهو مذهب سيبويه (١٨٠هـ) سواء أكان من نوع العامل أم لا[١] ، واستثنى بعضهم المرتبط بمعنى عامله، فإذا كانا يدلان على معنى واحد فلا بأس من القياس عليه كما في قولك: (جئته مشياً) وهو مذهب المبرد (٢٨٦هـ)[٢]؛ وقيل: أنَّ مذهبه هو الإجازة مطلقاً دون استثناء[٣]؛ لأنَّه حينئذ يدل على الهيئة بنفسه، ويصبح على هذا نوع من المفعول المطلق حُذف عامله، وقاسه ابن مالك (٦٧٢هـ) على ثلاثة مسائل جاز القياس عليها، وهي: ما بعد (أمّا)، وبعد خبر شبه به مبتدؤه، وإذا كان الخبر مقروناً بـ(أل) دالاً على معنى الكمال[٤].

وأول العلماء ما جاء منه بثلاثة تأويلات أولها- كونه من مجاز الحذف على تقدير حذف المضاف، ويكون تقديره من جنس المصدر[٥]، وثانيها- أول بمشتق، ويكون المصدر حالاً، وهو رأي سيبويه وجمهور البصريين[٦]، وثالثها- أول بأنَّه مفعول مطلق، وبأنَّ الحال منصوب بفعل مضمر هو في الحقيقة حالاً، وهو رأي الأخفش (٢٢١هـ) والمبرد (٢٨٦هـ)[٧]، وورود الحال مصدراً أكثر في القران من النعت بالمصدر[٨].

٣- مجيء النعت مصدراً: قرر النُّحاة أنَّه ليس في قوة الصفة الصريحة[٩]، فالنعت

(١) الكتاب (١/ ٣٧٠).
(٢) المقتضب (٤/ ٣١٢)، وشرح الكافية الشافية (٢/ ٧٣٥).
(٣) توضيح المقاصد والمسالك (٢/ ٦٩٧)، وهمع الهوامع (٤/ ١٥).
(٤) شرح التسهيل (٢/ ٣٢٩).
(٥) تمهيد القواعد (٥/ ٢٢٦٨).
(٦) يُنظر الكتاب (١/ ٣٧٠)، وهمع الهوامع (٤/ ١٦).
(٧) ينظر شرح التسهيل (٢/ ٣٢٨)، وتمهيد القواعد (٥/ ٢٢٦٧).
(٨) يُنظر شرح التسهيل (٢/ ٣٢٨)، والتذييل والتكميل لأبي حيان (٩/ ٤٤)، وهمع الهوامع (٤/ ١٦).
(٩) سر صناعة الإعراب (٢/ ٣٦٢).

بالمصدر لا يدل على صاحبه بل على المعنى[١]، بخلاف المشتق الذي يدل على الحدث وصاحبه، وهذه القوة في اللفظ دون المعنى، فالعدول عن اسم الفاعل إلى المصدر فيه دلالة على قوة المعنى وارتبط عند المفسرين والنحويين بالمبالغة، وهي مبالغة معنوية لا لفظية، فاستثناء النحويين مرتبط بغرض المبالغة فقط[٢]، فالمصدر يجعل المنعوت هو النعت، **أي:** هو نفس المعنى لكثرة وقوعه منه[٣].

وأخرجوا من النعت بالمصدر المصدر الميمي[٤]، واشترطوا له أيضاً أن يكون منكراً، صريحاً، غير دال على الطلب، وأن يكون من الثلاثي[٥]، وأن يكون مفرداً، وألا يُثنى ولا يُجمع[٦] إلا في حالتين هما: أن يكون المصدر في أصله مبنياً على التأنيث كرحمة، وأن يشيع الوصف بالمصدر، ويشتهر استعماله نعتاً[٧].

وعلة الإفراد عند ابن مالك (٦٧٢هـ) أنَّ فيه إشارة إلى المضاف المحذوف، وترك للمضاف إليه كما كان[٨]، وهذا الرأي يُقلل من قيمة هذا الأسلوب، وأقضى للمبالغة ما ذكره ابن جني (٣٩٢هـ) من أنَّ هذا الالتزام هو من تمام معنى المبالغة، وأنَّ المصدر إذا ثُني أو جمع خرج منه معنى المبالغة، فأشبه الصفة الحقيقة[٩]، وذكر في باب (تجاذب الإعراب والمعنى) أنَّ له علة صناعية أخرى وهي الأُنس بشبه المصدر للصفة في وقوعها موقعها، وأنَّ هذا التناوب بينهما كثير[١٠].

---

(١) الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب (١/ ٤٤٣-٤٤٢).

(٢) المحكم لا بن سيّده (٢/ ١٢١)، والجنى الداني للمرادي (٤٦٤).

(٣) يُنظر حاشية الصّبان (٣/ ٩٤)، والنحو الوافي عباس حسن (٣/ ٤٦٠-٤٦٢).

(٤) توضيح المقاصد والمسالك (٢/ ٩٥٧)، وارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي (٤/ ١٩١٩).

(٥) الكنّاش في فني النحو والصرف للملك المؤيد (١/ ٢٢٨)، والنحو الوافي (٣/ ٤٦٠).

(٦) الكنّاش (١/ ٢٢٨).

(٧) النحو الوافي (٣/ ٤٦١).

(٨) شرح الكافية الشافية (٣/ ١١٦٠).

(٩) الخصائص (٢/ ٢٠٧).

(١٠) المصدر السابق (٣/ ٢٥٩).

ومن القضايا التي أكثروا الحديث عنها في هذه الباب قضية سماعية وقياسية هذا الأسلوب، فقد قرر ابن مالك (٦٧٢هـ) في ألفيته على سبيل الأمر أنَّ النعت بالمشتق هو الأصل فقال:

وانعت بمشتق كصعب وشبهه كـ(ذا وذي) والمنتسب

وقال عن النعت بالمصدر:

ونعتوا بمصدر كثيرا فالتزموا الإفراد والتذكيرا[١]

وما ورد منه مصدراً فعلى خلاف الأصل، وكان للقدماء والمحدثين من النحويين نظرة في هذا الأسلوب، فرغم نصّ ابن مالك (٦٧٢هـ) على أنَّ هذا الأسلوب كثير في كلام العرب، وذكر سيبويه (١٨٠هـ) والمبرد (٢٨٦هـ) والزجاج (٣١١هـ) وابن يعيش (٦٤٣هـ) له دون التعرض لكونه سماعاً أو قياساً[٢]، ووصف الزمخشري (٥٣٨هـ) له بأنّه غير عزيز في كلامهم[٣] ونُسب لابن درستويه (٣٤٧هـ) أنَّه أول من قال بقياسية النعت بالمصدر[٤]، ونُسب إلى ابن عصفور (٦٦٩هـ) الذي صاغ عبارته بنون الجمع قاصداً أنَّ هذا مذهب النُحاة من البصريين [٥] وألحقه بالمشتق إلا أنَّ من بعدهم من النحاة كالرضي(٦٨٦هـ) وابن هشام (٧٦١هـ)[٦] وغيرهم قرروا أنَّه على خلاف الأصل، وقصروه على المسموع، وهو كثير في القرآن

(١) نظم ابن مالك تحقيق/ سليمان بن عبد العزيز العيوني (١٣٢).

(٢) النعت بالمصدر بين السّماع والقياس للدكتور/ صلاح العشيري (٢٥).

(٣) الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري (٣/ ٤١٧).

(٤) تصحيح الفصيح وشرحه (٢٥٣)، والنعت بالمصدر بين السماع والقياس (٢٣).

(٥) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور (١/ ١٤٦).

(٦) شرح الرضي على الكافية (٣/ ٢١)، والمسائل السفرية (١٤)، ويُنظر تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد (٧/ ٣٣٣٧).

والشعر، وهذه الكثرة دفعت كثيراً من المحدثين إلى القول بأنَّه قياسي مع الشروط التي ذكرتها لهذا الأسلوب[١] مستندين في ذلك على صنيع البلاغيين في اعتبارهم هذا النوع، وجعله من المجاز المرسل أو العقلي أو مجاز الحذف والشهاب الخفاجي (١٠٦٩هـ) ممن قرر أنَّ هذا الأسلوب من المقيس ووصفه بالحُسن[٢]، وهو الأقرب لأنَّه ورد في أفصح كلام وهو القرآن الكريم، وجاء في شعر كبار الشعراء، والمدرسة البصرية كانت متشددة في التزام المقيس الذي بنت عليه أصول النحو، ولم يكن الحكم هنا إلا نهج سلكه كثير منهم في رفض ما خالف القواعد، ولو كان في القرآن الكريم، فحكم على بعض الأساليب والجموع فيه بالشذوذ[٣]، ولعلهم نظروا إليه من ناحية الكم فهو وإن كان كثيراً إلا أنَّه قليل في مقابل المشتق، وعلى العموم فهو مقبول لأنَّه يرد في الكثير من المعاني الدقيقة، فلا يمكن أن يؤتى به لمن زار مرة واحدة، فيُقال له: هو زور، ولا لمن عدل مرة واحدة، ولا لمن كذب مرة واحدة، بل تُقال: لمن أكثر من الفعل المنسوب إليه، فصار مشهوراً به سواء أكان في الصفات المستحسنة أم المستقبحة.

وأول العلماء ما جاء منه بثلاثة تأويلات: على تقدير حذف المضاف إذا لم يُرد المبالغة وهو رأي البصريين[٤]، وهذا الرأي ضعفه كثير من النُحاة والبلاغيين، فوصف عبد القاهر (٤٧١هـ)، وصدر الدين الخوارزمي (٦١٧هـ) [٥] مُقدر هذا

(١) النحو الوافي (٢/ ٤٦٢)، والوصف بالمصدر للدكتور/ أحمد عبدالستار الجوادي (٨) .

(٢) شرح درة الغواص للخفاجي (٢٤٩).

(٣) يُنظر من أسرار اللغة للدكتور/ إبراهيم أنيس (١٠)، ويُنظر (١٤).

(٤) يُنظر سر صناعة الإعراب (٢/ ٣٦٢)، وشرح جمل الزجاجي (١/ ١٤٦).

(٥) هو أبو محمد لقاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمي، ولد عام (٥٥٥هـ)، وله مؤلفات منها: المجمرة في شرح المفصل، والسبيكة في شرح المفصل، وشرح سقط الزند، والتوضيح في شرح المقامات، وعجائب=

التقدير بالذي أذهب ماؤه وأفسد رونقه، وشبّاه بمن يُفسد قول الشاعر:

بـدت قمـراً ومالـت خـوط بـان وفاحـت عنـبراً ورنـت غـزالا[1]

فيُقدر أداة التشبيه أو يُقدراً مفعولاً مطلقاً، فيقول ومالت ميلان خوط بان، وذكر الخوارزمي(٦١٧هـ) أنَّ هذا التقدير كالغرب بينما جاء به الشاعر وما ورد فيه من الوصف المصدر بالمنبع[2]، وهذا الحكم من عالم له قدره، فالمسألة هنا تجاوزت مسألة الصحة والقياس إلى مرحلة الاستئناس بالجمال والهشاشة له، وإحداث نوع من الانسيابية في الكلام تُفسده مثل هذه التقديرات، وقُدر على إرادة المبالغة للدلالة على الكثرة[3]، وقُدر بمشتق سواء أكان على وزن فاعل أو مفعول[4].

وبعد فيمكن أن نخلص مما تقدم بما يأتي:

١- علة النَّحاة في رفضهم للأساليب الثلاثة في مجيء المصدر منها أنّه جامد غير مشتق، ولا يدل على الذات، ولكي لا يلزم منه الإخبار بالمعنى عن العين، فالخبر لابد أن يكون عين المبتدأ، والوصف لابد أن يكون نفس الموصوف، والحال لابد أن يدل على صاحبه.

٢- اتفقت كلمة النحاة على هذه التقديرات الثلاثة في الأساليب الثلاثة؛ لانطلاقهم من قاعدة واحدة، وهي أن المصدر فيه دلالة على المعنى دون الذات،

=النحو، وغير ذلك من المصنفات.

يُنظر في ترجمته: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥/ ٢١٩١).

(١) ديوان المتنبي (١٢٩).

(٢) يُنظر دلائل الإعجاز (٣٠٢)، والتخمير لصدر الدين الأفاضل الخوارزمي (٢/ ٩١).

(٣) شرح جمل الزجاجي (١/ ١٤٦-١٤٧).

(٤) يُنظر الألفاظ لابن السكيت (٢٩٣)، وتصحيح الفصيح وشرحه (٢٥٣)، وشرح المفصل (١/ ٣٧١)، وارتشاف الضرب (٤/ ١٩١٩).

فالشواهد والأمثلة التي أولوها نابعة من هذا التعليل.

٣- الأقرب أنَّ هذه الأساليب الثلاثة هي قياسية وذلك لكثرتها، وانطلاق النحاة في قصرهم إياها على القياسية بسبب أمرين، الأول ما ذكرته في النتيجة السابقة وهو أنّها تدل على المعنى دون الذات، والثاني أنَّ الوصف بالمصدر وإن كان كثيراً في شواهده إلا أنَّه قليل بالنسبة للوصف بالمشتق، وبعض النحاة كابن درستويه (٣٤٧هـ) ذكر أنَ النعت بالمصدر مقيس، والمبرد (٢٨٦هـ) في مجيء المصدر بالحال ذكر أنَّه مقيس، ومن المحدثين عباس حسن (١٣٩٨هـ.)[١] الذي ذكر أنَّ القول بقصره على السماع يستلزم منه تعارض القول بين قول النحاة وقول البلاغيين الذين يرون أنَّ هذا الأسلوب من أقوى الأساليب في المبالغة بينما يراها النَّحاة خلاف الأصل، ولا يُجيزون القياس عليه[٢].

٤- رجح كثير من النحاة تأويل المبالغة على التأويل بالمشتق، والتأويل بحذف المضاف؛ لما فيه من قوة المعنى وكثرة الدلالة كما مر بنا عند ابن جني (٣٩٢هـ.) وعبد القاهر (٤٧١هـ) الذي ذكر أنَّ حذف المضاف يصح التقدير به في أحوال معينة، وأولها أن يكون الكلام على ظاهره، والثاني أن لا يُقصد المبالغة والاتساع، فإذا أُريدت المبالغة فإن تقدير المضاف يجعل الكلام مغسولاً[٣]، ولذا التزم العلماء الإفراد دون المطابقة تأكيداً لهذا المعنى[٤]، وممن فضله من المحدثين الدكتور فاضل السامرائي، فقد ذكر أنَّ العدول في الأسلوب يستلزم منه بضرورة الحال عدول في

(١) اللغة والنحو بين القديم والحديث لعباس حسن (١٧٦).

(٢) يُنظر حاشية الصّبان (٣/ ٩٤)، ويُنظر معاني النحو (٢/ ٢٨٩)، وتوضيح النحو للدكتور عبد العزيز فاخر (٣/ ١٤)، والوصف بالمصدر (٨).

(٣) يُنظر دلائل الإعجاز (٣٠٢).

(٤) يُنظر الخصائص (٢/ ٢٠٧).

المعنى[١]، وفي المقابل رفض ابن درستويه (٣٤٧هـ) والشاطبي (٧٩٠هـ)[٢] التعليل بالمبالغة وذكر أنَّ التعليل بحذف المضاف هو الأليق بالكلام، وأنَّ الحذف للإيجاز والاختصار وهذا فيه نظر[٣]؛ لأنَّ هذه العلة موجودة في كل حذف، ولا يكفي التعليل بها في كل ما يرد علينا من الحذف، بل الأليق بالبلاغة عموماً وبالقرآن خصوصاً البحث عن خصوصية في هذا التركيب، ودلالة دقيقة أُريدت، والمبالغة أقوى من ناحية ثراء المعنى.

المطلب الثالث: الوصف بالمصدر في التنظير البلاغي

حديث البلاغيين عن هذا الأسلوب كان في مواطن عدة، ومنها تعقب سعد الدين التفتازاني (٧٩٢هـ) تعريف المجاز العقلي للخطيب القزويني (٧٣٩هـ) الذي ذكر أنّه: «إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ملابس له غير ما هو بتأول»[٤]، فذكر أن هذا التعلق هو أشهر صوره إلا أنَّ هناك صوراً لا تقل عنها أهمية، وهي:

أ- وصف الفاعل والمفعول بالمصدر، أو وصف الذات بالمصدر.

ب- وصف الشيء والأصل أنَّ الوصف لصاحبه[٥] كأسلوب الحكيم.

ومما تناولوه النظر إلى هذا الأسلوب من حيث الحقيقة والمجاز، فقد انقسموا إلى طائفتين.

الطائفة الأولى: ذهب هؤلاء إلى أنَّ هذا الأسلوب من المجاز، واختلفوا على ثلاثة آراء: فريق يرى أنَّه من المجاز العقلي وعلى رأسهم عبد القاهر (٤٧١هـ) الذي ذكر

(١) معاني النحو (١/ ١٩٦)، ويُنظر النحو الوافي (٤٦٠-٤٦٢).

(٢) يُنظر على الترتيب تصحيح الفصيح (٢٥٣)، والمقاصد الشافية (٤/ ٦٤٤).

(٣) تصحيح الفصيح وشروحه (٢٥٣).

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني(١/ ٨٢-٨٦).

(٥) المطول لسعد الدين (١٩٨).

هذا الأسلوب ووصفه بأنّه أسلوب جيد، وذكر أن كلمتي (الإقبال والإدبار) في بيت الخنساء باقيتان على حقيقتهما، فليس فيها مجاز المفرد، وأنَّ المجاز في الإسناد، ففي وصفها بهاتين الصفتين على المصدرية إشارة إلى كثرة هذا الفعل منها[١]، وابن معصوم المدني (١١٢٠هـ) الذي نصَّ على أنَّ هذا الأسلوب هو من المجال الحكمي عند أهل البيان في مبحث المجاز[٢]، وهذا النصَّ يدل على أنَّ البلاغين عرفوا هذا الأسلوب وألمحوا له إلا أنَّ الإطناب فيه لم يكن حاضراً في كتبهم، وفريق يرى أنه من مجاز الحذف كالزجاج (٣١١هـ) الذي أكثر من تأويل ما ورد بالمصدر على حذف المضاف، ورأى عبد القاهر (٤٧١هـ) أنَّ هذا التقدير صحيح من ناحية المعنى، ولكنه يُفيت غرض المبالغة التي يحتملها الكلام[٣]، وهو رأي المهلبي (٦٤٤هـ) صاحب كتاب (المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي) الذي رأى أنَّ الأولى ألا يُقدر المضاف؛ لأنَّ الحذف خلاف الأصل[٤]، وفريق ثالث ذكر أنه من المجاز المرسل وعلاقته التعلق[٥].

الطائفة الثانية: رأى فريق من العلماء إلى أنه ليس من المجاز وليس من الحقيقة ومنهم الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) وابن يعقوب المغربي (١١٢٨هـ)[٦]، ورأى الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي (١٤٢٧هـ) أنَّ القول الأول أولى بالصواب لأنه متوافق مع الذوق السليم[٧]، وهو الصحيح؛ لأن فيه إثراء للمعنى.

---

(١) دلائل الإعجاز (٣٠٠).

(٢) أنوار الربيع لابن معصوم المدني (٦/ ١١٠).

(٣) دلائل الإعجاز (٣٠٠).

(٤) المآخذ على شرح ديوان أبي الطيب المتنبي للمهلبي (٢/ ٧٦).

(٥) حاشية الصبان (٣/ ٩٤).

(٦) شروح التلخيص (١/ ٢٤٠).

(٧) الإيضاح بتعليق الخفاجي (١/ ١٢٧).

وذكر المهلبي (٦٤٤هـ) أن الوصف بالمصدر أبلغ من الوصف باسم الفاعل[١].

وهذا الأسلوب كثيراً ما يربطه النحويون والبلاغيون بالمبالغة، ويقصدون بها هنا المبالغة المعنوية كما ذكرت سابقاً، وهي: «إخراج الشيء على أبلغ غايات معانيه»[٢]، ولا شك أنَّ العدول من اسم الفاعل إلى المصدر يحمل هذا الغرض، وغيره من الأغراض التي سيشير البحث إليها، فإنَ الغاية هي إيصال المعنى بدقة.

(١) المآخذ على شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (١/ ١٤).

(٢) البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب (١٢٣).

المبحث الأول

وقوع المصدر خبراً للمبتدأ أو لنواسخه

وقفت في هذا التركيب اللغوي على مجموعة من الشواهد منها في موضوعات مختلفة من القرآن، فقد ورد في القصص القرآني كما في الحديث عن حال الكفار مع النبي ﷺ فقد وصفوه بأنه مسحور، وذلك في قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء:٤٧] فموطن الشاهد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ فالنجوى مصدر عُبر به للدلالة على أنَّ هذه هي عادتهم مع النبي ﷺ فهم أكثروا من أذيته وتآمروا عليه وخاضوا في شأنه إمَّا لوصفه بأقذع الأوصاف، وإمّا لقتله[(١)]، وقيل: أنَّ هذه عادة من الكفار تكثر منهم عند استماعهم للقرآن محاولة منهم التشاغل عنه[(٢)]، فالأصل أن يُعبر بها عن الرجال المتناجين، ولذا قال الأخفش (٢٢١هـ): «إنَّما النجوى فعلهم كما تقول: هم قوم رضى»[(٣)]، وذكر السمين الحلبي (٧٥٦هـ) والشهاب الخفاجي (١٠٦٩هـ) في أحد قوليهما أن إطلاقها هنا على الأشخاص هو من باب المجاز[(٤)]، ويقصد به المجاز المرسل الذي علاقته التعلق، ويصح أن يكون من المجاز العقلي، فالعدول هنا من اسم الفاعل إلى المصدر للدلالة على كثرة هذا الفعل منهم، فكأنَّهم هم النجوى.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٦/ ٤٢١٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٥/ ٤٨٩).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٢٠).

(٣) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٢٥)، ويُنظر مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (١/ ٣٨١).

(٤) يُنظر على الترتيب الدر المصون (٤/ ٩٠)، وحاشية الشهاب (٣/ ١٧٧).

وبعض المفسرين كالزمخشري (٥٣٨هـ) قدّرها على حذف المضاف (ذو)[١]، وبعضهم قدره بـ(أولو)[٢]، وبعضهم قدره بـ(أصحاب)[٣]، والزمخشري (٥٣٨هـ) أخذها قاعدة طبقها في كل ما ورد من هذا الأسلوب تبعاً للزجاج (٣١١هـ) الذي كثيراً ما كان يذكر يُقدر مضافاً محذوفاً كما سيرد معنا في الشواهد الآتية.

وورد في قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾[القصص: ٨] فموسى عليه السلام جُعل نفس الحزن مبالغة[٤]، فقد كان سبباً في تشتت ملك فرعون وانفضاض من حوله كالسحرة، وجعله في قلق وجدال دائم، فقد أخبر عن الذات بالمعنى لهذا الغرض، ولكن ابن عاشور (١٣٩٣هـ) رفض جعله من هذا الباب؛ لأنَّه لم يقع مكان اسم الفاعل[٥]، والأول أقرب لما فيه من خصيصة النوع، فالأسلوب من باب المجاز الحكمي وعلاقته السببية.

وجاء هذا التركيب في الآيات التي حُث فيها على التزام معالي الأخلاق خصوصاً في مواجهة الإساءة والأذية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[الشورى: ٤٣] ففي هذه الآية أتى وصف الأمور بالمصدر للمبالغة، فالأصل أنَّ الوصف لصاحبها، والتقدير: الآمور العازم أصحابها، فالتركيب من المجاز العقلي[٦]، فالعزيمة ليست للأمور حقيقة وإنّما هي خاصة

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٤٣)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٤٥٢).

(٢) المحرر الوجيز (٢٨/ ٢٤٨).

(٣) تفسير ابن جزي (١/ ٣٧).

(٤) تفسير أبي السعود (٥/ ١٢٠).

(٥) التحرير والتنوير (٢٠/ ٧٦).

(٦) يُنظر التحرير والتنوير (٢٥/ ١٢٢).

بالذوات، فهذه الآية أتت في ختام اثني عشر مطلوباً ناسبها مثل هذا التركيب[١]، وهذا التركيب ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات[٢] كلها في ختام آيات جاءت في معرض العفو والصفح والصبر والأمر بالمعروف والحث على إقامة الصلاة والابتعاد عن الفحشاء، ففي هذا التركيب تدليل على فضل من التزم بالأوامر واجتنب النواهي وفضل العفو على الانتقام حتى أصبحت سمة يُعرف بها، وجعل الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) العدول من اسم الفاعل إلى المصدر للتأكيد مع بقية المؤكدات الموجودة في الآية، إضافة إلى أنَّ في الآية مدح لهم بكبت شهواتهم المختلفة[٣]، بينما ورد في سورة محمد بصيغة الإفراد (عزم الأمر) في مجال الحديث عن الحرب وجبن المنافقين عنه، وإنّما العزم لأهله كما قال الإمام الطبري (٣١٠هـ)[٤].

ومن الموضوعات التي ورد فيها هذا الأسلوب بكثرة وصف المؤمنين والكفار، فالمؤمنون حُثوا على الإيمان الخالص بذكر حال خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ومن آمن به مع قومهم في قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الممتحنة:٤] فموطن الشاهد قوله تعالى: ﴿بُرَآءُ﴾ فقد ذكر القُراء فيها أربع قراءات، منها (بَرَاءٌ)[٥]، وهي من باب الوصف المصدر، فقد عُدل فيها عن اسم الفاعل (متبرأ) إلى المصدر للدلالة على المبالغة في المعنى، فإبراهيم عليه السلام ومن آمن به جعلوا المعيار بينهم وبين أهاليهم

(١) يُنظر ملاك التأويل للغرناطي (١/ ٣٢٦).

(٢) سورة آل عمران (١٨٦)، وسورة لقمان (١٧)، وسورة الشورى (٤٣).

(٣) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٢٢).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٣٠).

(٥) الكشاف (٤/ ٩١)، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٩/ ٥١٩).

الإيمان، فمن كان مؤمناً فهو القريب والحبيب، ومن استمر على غيه فهو العدو البالغ العداوة، وهي براءة تامة خالصة من مشاعر الارتداد والنكوص التي قد تعلق في نفس البشر عطفاً على أرحامهم.

وذكر في معرض الثناء عليهم بما هم عليه من الصفات الحميدة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨] فموطن الشاهد قوله تعالى: ﴿شُورَىٰ﴾ فهذه الآية نزلت في مدح الأنصار فكأن أمرهم هو الشورى نفسها، أو لأنَّهم يكثرون من هذه الصفة فأصبحت عادة ملازمة لهم، وهو تركيب مجازي، ففيه إسناد الأمر إلى الشورى، والحقيقة أنَّه لأصحابها(١)، وقيل: أنَّه من باب مجاز الحذف، والتقدير: ذو شورى(٢)، ففي هذا الوصف مبالغة في المدح.

وفي وصف حال بعضهم عندما فُرض القتال عليهم كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] **فالأصل:** (مكروه) إلا أنَّه عُدل إلى المصدر للمبالغة(٣) في التدليل على شدة كراهيتهم للقتال لصعوبة الخروج له، فكأنَّه هو الكره بذاته، ومما يُستأنس به هنا أنَّ هذه هي اللفظة الوحيدة في القرآن الكريم من معجم (الكراهة) التي أجمع القُراء على قراءتها بالضم؛ ضم الكاف، وهي قراءة أهل الحجاز بينما غيرها جاز فيها الفتح والضم(٤)، فلعل هذا داخل في الشدة والامتعاض من إيجاب القتل عليهم، ومن حركات الامتعاض في عادة الناس ضم الشفتين، وذكر بعض المفسرين على أن هنا مضاف محذوف، **أي:** ذو كره لكم(٥)،

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ١١٢).
(٢) الكشاف (٣/ ٤٧٢)، وفتوح الغيب للطيبي (١٤/ ٧٣).
(٣) الكشاف (١/ ٣٥٦)، ومفاتيح الغيب (٦/ ٣٨٥).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٨٨).
(٥) تفسير الطبري (٣/ ٦٤٥).

وقيل: أنّه مجاز لا حقيقة، فحالهم شبيه بحال من أكره على الشيء وهو لا رغبة له فيه[١]، وهذا الرأي فيه نظر؛ لأنَّ الجملة وردت بالإخبار عن الإيجاب والإلزام وأنَّ هذا الأمر كان من قبل الله، فالفرض هنا لازم، والكلام محمول على حقيقته.

وأمّا الكفار فالحديث عنهم كانوا من وجوه شتى، فقد أُخبر عنهم بأنهم عين النجاسة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ [التوبة: ٢٨] فقد وصف الذات بهذا المعنى مبالغة في تهجين أمر الكافرين، فكأنَّهم النجاسة بعينها، وقيل: أنَّه من مجاز الحذف على تقدير: (ذو نجاسة) [٢]، فهم نجاسة داخلية وخارجية، فالكفر والحقد على المسلمين داخلية، وعدم اغتسالهم من الجنابة خارجية.

أو في وصف مدى اعتزازهم بآلهتهم فكانوا يعتقدون أنَّها هي العز بذاته، أو أنَّها كثيرة العزة، أو أنَّ مجرد الانتماء والافتخار بها يجلب العز لعابديها[٣]، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا﴾ [مريم:٨١].

وورد في معرض الاستفهامات التي أمر الله ﷻ نبيه أن يواجه بها مشركي قريش في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾ [الملك: ٣٠] فموطن الشاهد قوله تعالى: ﴿غَوۡرٗا﴾ فقد عدل عن الوصف باسم الفاعل إلى الوصف بالمصدر لإرادة المبالغة[٤]، وهو مجاز عقلي، فالله ﷻ تحداهم بأنَّه قادر على إنزال الماء في غياهب الأرض فلا تناله أيديهم ولا دلاؤهم، ولو قيل: (غائراً) لفهم منه هذا المعنى، ولكنه ليس في قوة المصدر، ولذا نصَّ ابن كثير (٧٧٤هـ) على أنَّ

(١) تفسير الكشاف (١/ ٣٥٦).

(٢) يُنظر المصدر السابق (٢/ ١٨٣)، والدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٧)، وتفسير أبي السعود (٣/ ١٥٢).

(٣) يُنظر التحرير والتنوير (١٦/ ١٦٣).

(٤) المحرر الوجيز (٢٩/ ٣٦٣).

الأول أبلغ[1]، وهو قريب بهذه الصيغة من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨] واختيار هذه الكلمة دون سواها له دلالة دقيقة؛ لأنَّ هذا الوصف يطلق على الماء في حال عجزهم عن الوصول إليه، وكذلك حُذف جواب الشرط الذي يدل على أمر مهول سيحيق بهم في حال عجزهم عن الوصول للماء، والاستفهام في الجملة الأخيرة استفهام إنكاري[2]، وورد هذا المصدر في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٤١] فقد عُدل فيها عن اسم الفاعل، وقيل: أن الشاهدين يمكن أن يُقدر فيهما مضاف محذوف، **أي:** ذا غور[3]، فيكون من مجاز الحذف، والرأي الأول أبلغ؛ لأن الجملة التي تليهما تؤكد هذا المعنى، إلا أن الجملة الأولى وردت خطاباً بصيغة الجمع، وهذه وردت بصيغة الإفراد، والمعنى الجامع بينهما هو النفي، فالثاني بصريح النفي، والثاني استفهام يؤول إلى معنى النفي، **أي:** لا يقدر أحد على ذلك إلا الله ﷻ.

وورد الحديث عن البشر عموماً وما جبلوا عليه من الشهوات في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران: ١٤] فقد جعل الله ﷻ الأعيان الستة المذكورة في الآية هي الشهوات للتدليل على حرص البشر على الاستمتاع بها[4].

وورد هذا العدول في آيات وصف القرآن بالهدى، وذلك في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية:١١] **فأصل الكلام:** (هادٍ) إلا أنَّ في التعبير بالمصدر تدليل على كثرة هدايته لمن اتخذ أوامره ونواهيه وما

(١) تفسير ابن كثير (٩/ ١٤٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩/ ٥٦).

(٣) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٨٤).

(٤) يُنظر الكشاف (١/ ٤١٦)، ومفاتيح الغيب (٧/ ١٦١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٥٠)، وتفسير أبي السعود (١/ ٤٠٩).

فيه دستوراً له في الحياة، فكأنَّه نفس الهداية «لتحمله كل أسباب الهدى وجميع جهاته»[(١)]، والتعبير بالمصدر يتسق مع تنكير المسند في ذات اللفظة للدلالة على معنى الكمال في الهداية[(٢)]، وذات الكلمة وردت في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة:٥] فقد ذكر الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) أنَّ في التعبير بالمصدر بدلاً من اسم الفاعل من المعاني ما لا يُحيط به الوصف[(٣)]، فهذه اللفظة بهذا التركيب أفادت الدلالة على جميع أنواع الهدايات التي يمكن أن تحتملها الكلمة.

وفي المقابل وصف حال من لم يُؤمن به في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤] فضمير الغيبة عائد إلى القرآن الكريم، وعُدل به إلى الوصف على سبيل المبالغة[(٤)]، وهو من التركيب المجازي، فإنَّ عنادهم وكفرهم بالقرآن وما فيه كان السبب في ضلالهم[(٥)].

ومن المواضيع التي ورد فيها هذا التركيب آيات الأحكام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة:٩٦] فقد قرأ ابن عباس (٦٨هـ) ﴿حُرُمًا﴾ بفتح الحاء والراء على المصدرية، فيكون من هذا الباب على تقدير حذف المضاف، **أي:** ذوي حرم، أو على جعله نفس المحرم على وجه المبالغة[(٦)(٧)].

---

(١) نظم الدرر (١٨/ ٦٣).

(٢) الكشاف (٣/ ٥١٠).

(٣) يُنظر التحرير والتنوير (١/ ٢٢٧).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٠٠).

(٥) يُنظر التحرير والتنوير (٢٤/ ٣١٦).

(٦) يُنظر تفسير الألوسي (٤/ ٣٠).

(٧) من الشواهد قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾

وورد هذا العدول في القراءات كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾[الأنبياء: ٩٨] قُرأ بإسكان الصاد في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ ﴾ فيكون مصدراً وقع موقع اسم المفعول[١](محصوب) للمبالغة، فكأنهم هم الحصب، **أي:** الحصى، وقيل: هو الحطب في لغة قريش[٢]، فيكون في أصل التفسيرين تشبيه لهم بالحصى أو الحطب، وذلك للتدليل على شدة العذاب وتخويف لهم بسوء المصير، خصوصاً أنَّ الآية تُلاها النبي ﷺ على مشركي قريش وهو يدعوهم إلى الإيمان، ففي ذكرها في هذا المقام تخويف بعد إبلاغهم الرسالة والدعوة.

[الكهف:٩] وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[مريم: ٢٣] وقوله تعالى ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [العنكبوت:٢٥] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾[الذاريات: ٥] وقوله تعالى﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾[البروج: ٦].

(١) يُنظر المحرر الوجيز (١٧/ ٢٠٤)، ومفاتيح الغيب (٢٢/ ١٨٨).

(٢) اللغات في القرآن لابن حسنون (٣٧).

المبحث الثاني
وقوع المصدر حالاً

كثيراً ما يُعرب المصدر الواقع حالاً بأكثر من إعراب، فهو يمكن أن يكون مفعولاً مطلقاً، أو مفعولاً له، ورغم هذه التقديرات إلا أنّها ليست في الدلالة على قوة المعنى واحدة، ولذا رفض عباس حسن (١٣٩٨هـ) جعل كثيراً من شواهد هذا الأسلوب من المفعول المطلق؛ لأنَّ حذف عامل المفعول المطلق المؤكد معيب؛ لأنه ينافي الغرض الذي جاء من أجله(١).

ووقفت في هذا الأسلوب على مجموعة من الشواهد في موضوعات قرآنية مختلفة، فقد ورد في القصص القرآني في وصف نوح عليه السلام لدعوته مع قومه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ [نوح: ٨] فهذا المصدر قُدر فيه أكثر من إعراب(٢)، منها إعرابه حالاً، فالأصل/ مُجاهراً، ولكنّه وصف بالمصدر ليُشير إلى ما بذله من جهد في سبيل الدعوة واستعماله أساليب مختلفة في دعوتهم(٣)، فدعوته كانت مستمرة في الليل والنهار(٤)، ففي هذا التعبير تدليل على كثرة دعوته لهم، فلم يلق إلا الصد منهم والكفر بدعوته، وجوز أن يكون المحذوف على تقدير مضاف، **أي:** ذا جهارا(٥)(٦).

ويأتي هذا الأسلوب للتدليل على شدة الرغبة والرهبة كما في وصف أنبياء الله بعد ذكر قصصهم في سورة الأنبياء بقوله تعالى:﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ

(١) النحو الوافي (٢/ ٢١١)، (٢/ ٣٧٢).
(٢) يُنظر مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢/ ٧٦٠).
(٣) يُنظر تفسير أبي السعود (٦/ ٣٢٩).
(٤) تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٢٦٢).
(٥) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٢٧).
(٦) ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا﴾ [النساء:٩٢].

يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ ﴾ [الأنبياء:٩٠] فهذه الآية أتت في ختام قصص الأنبياء، فالأصل: راغبين وراهبين إلا أنَّه عُدل إلى المصدر للمبالغة في وصف شدة رغبتهم فيما عند الله، وشدة خوفهم من عقابه وعذابه[١]، إضافة إلى كثرة هذا الفعل منهم في كل أمورهم، ويمكن أن يُقدر على حذف المضاف، **أي:** ذوي رغب وذوي رهب[٢].

كما ورد في قصة إخوة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗا﴾ [يوسف:٨٠] ففيها إشارة إلى انفرادهم وكثرة تشاورهم في اعتذارهم لأبيهم بسبب فقدهم لأخيهم بنيامين، ولذا ورد أنّهم ذهبوا إلى كبيرهم في العقل والعلم يُشاورنه في أمرين **هما:** الصفة التي يذهبون بها إلى أبيهم، والكلام المعتذر به[٣]، فلفظة ﴿نَجِيّٗا﴾ وردت بدلاً من اسم الفاعل لدلالة الكثرة، ولذا ذكر الإمام الرازي (٦٠٦هـ) ثلاثة محن تجعلهم يكثرون من التشاور، **وهي:** بقاء أبيهم دون أبناء وهذه محنة عظيمة، واحتياج أهل بيتهم إلى الطعام، وخشيتهم أن يظن يعقوب عليه السلام هلاك أولاده بالكلية، ولو عادوا إلى أبيهم دون أخيهم بنيامين لعظم حياؤهم من أبيهم الذي يُوهم ظاهر أمرهم أنهم خانوه في حفظ الابنين[٤]، ولاشك أنَّ هذه المحن تدفعهم إلى كثرة التشاور وتقليب الآراء لتبرير ما جرى لأبيهم.

وجاء في حديث الله عن اليهود، وذكر شيء من مخازيهم مع المسلمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا

(١) يُنظر حاشية الشهاب (٦/ ٢٧١).

(٢) تفسير أبي السعود (٤/ ٣٧٦).

(٣) الكشاف (٢/ ٣٣٦).

(٤) مفاتيح الغيب (١٨/ ٤٩٢).

وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ﴾ [آل عمران:٩٩] ففي هذا الآية حديث عن أهل الكتاب وعن شيء من مخازيهم مع دين الله ﷻ فهم يُلبسون على المؤمنين بما عندهم من العلم، ويجتهدون في ذلك ويحرصون على إضلالهم كنفيهم أن تكون أوصاف النبي ﷺ هي الموجودة في التوراة، وبثهم الشقاق بين المسلمين كمحاولتهم التفريق بين الأوس والخزرج[١] ويُكثرون من ذلك، وهذه الكثرة مفهومة من وضع المصدر موضع الاسم المشتق، فأصل الكلام: (معوجة) فهم لحرصهم على أن يكون الطريق المستقيم نفس الطريق العوج عُبر عنه بذلك، وفي هذا التصوير بهذا العدول توبيخ وذم لهم[٢]، فهي جملة خبرية خرجت إلى معنى التوبيخ، وورد هذا المصدر بهذه الدلالة والعدول في ثلاث آيات أخرى[٣].

وكذلك في وصف الله ﷻ لحال الكفار عند رؤيتهم العذاب والحساب الذي طالما أنكروه وجحدوا وقوعه، واستهزأوا بمن أنذرهم وقوعه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الملك: ٢٧] فهذه الآية حديث عن قرب الموعود أو العذاب الذي سيحيق بهؤلاء الجاحدين المنكرين، وموطن الشاهد قوله تعالى: ﴿زُلۡفَةٗ﴾ فأصل الكلام: مزدلفاً، فجُعل نفس القرب مبالغة وتهديداً وتخويفاً، ومما زاد هذه المبالغة تأكيداً إضافة التاء إلى ذات الكلمة وقيل: أنَّه على تقدير حذف المضاف، **أي:** ذي زلفة من مجاز الحذف[٤].

وأتى هذا الأسلوب في صفة القتال التي ينبغي على المؤمنين أن يلتزموا بها، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ

(١) المحرر الوجيز (٤/ ٣٠٠-٣٠١).

(٢) حاشية ابن المنير (١/ ٤٤٩).

(٣) سورة الأعراف (٤٥، ٨٦)، وهود (١٩)، وإبراهيم (٣).

(٤) يُنظر الدر المصون (١٠/ ٣٩٤)، ونظم الدرر (٢٠/ ٢٦٥)، وتفسير ابي السعود (٦/ ٣٠١)، والتحرير والتنوير (٢٩/ ٥٠).

ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥]، فسَّر هذه الآية كثير من المفسرين بمتزاحف بعضكم إلى بعض[١]، فالأصل أن يُعبر عنهم بهذا المفسِر الذي ذكروه، ولكنّه عُدل إلى ما في الآية للدلالة على الكثرة والمبالغة، فالزحف فُسر بأمرين: بالمعنى المصدري، **أي:** المشي في الحرب، وفُسر بالجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنّه يزحف[٢]، فهؤلاء الأعداء في غزوة حنين كان كثير عددهم وكثيرة أسلحتهم وخيلهم، ولا شك أنَّ منظرهم وهم يسيرون من مسافة بعيدة نحو أرض المعركة يبث الرعب في النفس، والخور في الأجساد، ومع هذا فإنَّ المؤمن مطالب بالثبات والصبر وعدم خلخلة صفوف المسلمين بهروبه من القتال، يُضاف إلى الكثرة طول أمد المعركة التي يستلزم القتال فيها وقتاً كبيراً، فربما فرّ المقاتل هرباً من هذا.

وورد في الحديث عن الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها المؤمن، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] ووردت هذه الجملة أيضاً في سورة لقمان في وصايا لقمان لابنه[٣]، وكلتا الآيتين وردتا في إطار الوصايا التي يجب أن يتخلق بها المؤمن، وقُرأ ﴿مَرِحًا﴾ بكسر الراء وفتحها، فالكسر على أنَّها اسم فاعل، والفتح على أنّها مصدر، ورجح الأخفش (٢٢١هـ) المكسورة منها[٤]، إلا أنَّ الزجاج (٣١١هـ) ذكر أنّهما في الجودة سواء، وذكر أنَّ المفتوحة وهي مصدر أوكد في الاستعمال من المكسورة[٥]، فالغرض من وضع المصدر موضع الصفة التأكيد[٦]، وهو تأكيد معنى النهي عن التخلق بهذه الصفة ولو كان شيئاً يسيراً أو وقتاً قصيراً،

(١) تفسير الطبري (١١/ ٧٥)، ومفاتيح الغيب (١٥/ ٤٦٥).

(٢) الكشاف (٢/ ١٤٨-١٤٩)، والتحرير والتنوير (٩/ ٢٨٧).

(٣) سورة لقمان (١٨).

(٤) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٢٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٠).

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٤/ ٣٤٩).

وهو نهي كراهة خرج عن معناه الحقيقي[١] إلا أنَّ البيضاوي (٦٨٥هـ) رأى أنَّ الوصف باسم الفاعل آكد من الوصف بالمصدرية، وأنَّ أبلغية المصدر تكون في الاثبات لا في النفي[٢]، والنهي في حقيقته داخل في النفي، فالنفي هنا لأصل الصفة وهي المشي في المرح، لا نفي زيادة المرح التي فُهمت من الوصف بالمصدر[٣]، وهي على هذا تكون من المجاز العقلي، فأسند المشي إلى الصفة، والمراد صاحبها، وقدره الزمخشري (٥٣٨هـ) على حذف المضاف، **أي:** ذا مرح[٤].

وورد هذا الأسلوب في ذكر الصفات السيئة التي التزم بها بعض العرب خشية العار كما يدعون، أو خشية الفقر كما يظنون وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠] ففي التعبير بالمصدر مبالغة في وصفهم بشدة السفه[٥]؛ لأنَّهم اعترضوا على ما رُزقوا، وحرموا أنفسهم منافع هؤلاء الأبناء، كما حرموا البشرية وإعمار الأرض منهم، فلذا كانوا في غاية السفه والحماقة، فكأنَّهم هم السفه بعينه.

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٥/ ١٧١٥).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٣/ ٢٥٥).

(٣) حاشية الشهاب الخفاجي (٦/ ٣٣).

(٤) الكشاف (٢/ ٤٤٩).

(٥) التحرير والتنوير (٨/ ١١٤).

المبحث الثالث
وقوع المصدر نعتاً

يُعد هذا التركيب من أكثر التراكيب الخمسة التي تندرج تحت هذا الأسلوب قيمةً من ناحية الأغراض البلاغية، فقد ورد في القصص القرآني، فجاء في قصة إخوة يوسف في جزئية تبرير اختفاءه في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨] نسب ابن الجوزي (٥٩٧هـ) إلى الفراء (٢٠٧هـ) والأخفش (٢٢١هـ) وابن قتيبة (٢٧٦هـ) والزجاج (٣١١هـ) أنهم رأوا أنَّ قوله تعالى: ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ من المجاز العقلي[١]، والمراد به: أنَّ من جاء به كاذب[٢]، وإنّما أُسند الدم إلى الكذب، وعُبر بالمصدر بدلاً من اسم المفعول **أي:** (مكذوب فيه) للإشارة إلى أنَّ كذبهم في دعوى قتل الذئب له وأنَّ الدم الموجود على القميص هو دم يوسف عليه السلام دعوة مفضوحة، فالكذب ظاهر على الدم فكيف بصاحبه؟! فكأنَّه قال لهم: هو الكذب بعينه ونفسه[٣]، فالتعبير بالمصدر للمبالغة؛ لأنَّه مخالف للواقع[٤]، ولذا ورد أنَّ يعقوب عليه السلام قال لهم: إنَ هذا الذئب كان رحيماً، كيف أكل لحمه، ولم يُخرق قميصه؟![٥]، وهذا المقولة رفضها ابن عاشور (١٣٩٣هـ)[٦]، والجملة الاستئنافية التي تلي هذا التركيب تكشف لنا أن يعقوب عليه السلام عرف كذبهم لوضوحه، وصرح بتكذيبه لهم،

(١) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٩٢-١٩٣).
(٢) يُنظر تفسير الطبري (١٣/ ٣٥).
(٣) الكشاف (٢/ ٣٠٨).
(٤) نظم الدرر (١٠/ ٣١).
(٥) المصدر السابق (١٥/ ٥٨٠).
(٦) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٣٨).

وبعض العلماء كالزجاج (٣١١هـ) قدره على حذف المضاف، **أي:** ذو كذب[١]، فيكون من مجاز الحذف.

وجاء في موضع آخر من القصة لإرادة التقليل والتحقير كما في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف:٢٠] ذكر بعض المفسرين أنَّ المصدر عُبّر به بدلاً من اسم الفاعل (باخس)، **أي:** ناقص[٢]، وقيل: إن أصل الكلام اسم المفعول (مبخوس) **أي:** منقوص، وقيل: حرام، ولذا ذكر العلماء أن البخس بمعنى النقصان في القرآن كله إلا في هذه الآية، فإنه بمعنى الحرام[٣]، وقيل: بمعنى ظلم، وقيل: قليل[٤]، وهذا يتناسب مع دلالة المصدرية، والجملة الحالية بعدها، ولذا قيل: أنَّ إخوته العشرة بعوا يوسف عليه السلام على أنَّه عبد لهم بعشرين درهماً فنصيب الواحد منهم درهمين[٥]، ولا شك أنَّ هذه صفقة قليلة القيمة، وإذا كانت بمعنى الظلم والحرمة، فهو للمبالغة في تقبيح جرمهم وتشنيع عليهم سوء فعلهم، فكأنَّه هو البخس بعينه، وإذا كان المراد السّيارة، فتعليل بخسهم للثمن بأمرين، **الأول:** أنّهم التقطوه من البئر، والملتقط قليلة قيمته بالمقارنة مع غيره، **والثاني:** أنّهم خافوا أن يظهر من يدعي أنّه ملك خاص به، فكانوا مستعجلين في بيعه بأي ثمن[٦]، وقيل: (ذي بخس) على حذف المضاف، فيكون من مجاز الحذف[٧]، فكأنّهم أرادوا التخلص منه بأرخص الأثمان،

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٩٦)، ويُنظر الهداية في بلوغ النهاية (٥/ ٣٥٢٠)، والكشاف (٢/ ٣٠٨)، والبحر المحيط (٦/ ٢٥٠).

(٢) الجمهرة (١/ ٢٨٩)، وتصحيح الفصيح (٤٤٢)، والمفردات (١/ ١١٠).

(٣) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي (١/ ١٠٥).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ١١-١٢).

(٥) المصدر السابق (١٣/ ٥٨).

(٦) تفسير أبي السعود (٣/ ٤١٠).

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية (٥/ ٣٥٢٧)، ومفاتيح الغيب (١٨/ ٤٣٣).

ولذا خُتمت الآية بالجملة الحالية التي اختلف المفسرون فيها بين ردها لإخوة يوسف أو للسّيارة، والأول رجحه الطبري (٣١٠هـ)[١].

وجاء هذا الأسلوب للتأكيد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧] ففيها عدول من اسم الفاعل(يابسا) إلى المصدر للمبالغة، فكأنَّه هو اليبس بعينه، والمبالغة هنا للتأكيد، فكأنَّه وعد بطريق شديد اليبس يستطيع الهرب فيه هو ومن معه بأسرع ما يكون خصوصاً أن فرعون كان يُطاردهم بجيش عظيم، وربطها المفسرون[٢] بآية أخرى هي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة: ١٤٣] ففيها أيضا عدول إلى المصدر[٣] لتأكيد معنى التوسط بدلالة خلو الوصف من التأنيث، ولكن الأقرب أنه اسم جامد شبيه بالوصف في لزوم حالة تركيبية واحدة[٤]، ومن الفروق بين الآيتين الموقع الإعرابي، فالأولى نعت، والثانية ﴿وَسَطًا﴾ مفعول به ثاني، وجوز في الآية الأولى أن يكون التقدير: (ذا يبس)[٥].

ووردت في قصة دعاء المؤمن على صاحب الجنة في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف:٤٠] للدلالة على شدة الخراب، وموطن الشاهد قوله تعالى: ﴿زَلَقًا﴾ وهي من دعاء المؤمن بالبعث على الكافر به، واختلف المفسرون في المراد بالزلق في الأرض إلا أنَّهم اجمعوا أنه دعا عليه بأن تُصبح أرضه خربة[٦]، فوصف

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٢).
(٢) مجاز القرآن (١/ ٥٩)، وتفسير الطبري (٢/ ٦٢٦).
(٣) تفسير أبي السعود (١/ ٢٥١).
(٤) يُنظر الدر المصون (٢/ ١٥٢)، والتحرير والتنوير (١/ ٢٠١)، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم (٧/ ٤٥).
(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٧/ ٤٦٧٤).
(٦) البحر المحيط (٧/ ١٨٠).

الصعيد بالزلق من باب الوصف بالمصدر[١] للمبالغة، وعُدل به عن المفعول[٢] فالأصل: (مزلقة) فهو يدعو عليها بأن تصبح خراباً خالية من أي منفعة، ولو كانت منفعة المشي، وهي منفعة ربما نجدها في الأرض التي لا تصلح للزراعة، ولو ضُمت إلى هذه الجملة الجملة السابقة وتحديداً المصدر ﴿حُسۡبَانٗا﴾ الذي فسره ابن عباس رضي الله عنه (٦٨هـ) في جوابه لنافع بن الأزرق بأنَّه نار من السماء، واستشهد عليه بقول حسان رضي الله عنه:

بقية معشر صُبت عليهم شآبيب من الحسيان شُهْبُ[٣]

لفهمنا أنَّها نار عظيمة لا تبقي منفعة ولا تذر لصاحبها موضعاً يمكن أن يستفيد منه، فهو عذاب شامل مُحيط بكل أقطار هذه الأرض، فحسان أراد من هذا الخبر وصف شدة ما وقع على هؤلاء القوم، وأجاز الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) أن تكون من مجاز الحذف، والتقدير: ذات زلق[٤].

وأتى في الحديث عن يوم القيامة وما فيه من الجزاء والحساب، ومن شواهده قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧] فقد وصفت الموازين بالقسط وهو المصدر مبالغة في العدل، فكأنَّها في أنفسها هي القسط[٥]، وهذا يتناسب مع سياق الآية التي سُبقت بآيات كثيرة تتحدث عن كفر الكافرين وإنكارهم للبعث وتكذيبهم بالرسل وبالساعة، فهم سيُحاسبون على كفرهم

(١) الكشاف (٢/ ٤٨٥)، والدر المصون (٧/ ٤٩٦)، وحاشية الشهاب (٦/ ١٠٣).

(٢) تفسير أبي السعود (٤/ ٢٠٢).

(٣) مسائل نافع بن الأزرق عن طريق ابن عباس (١٣٤).

(٤) التحرير والتنوير (١٥/ ٣٢٥).

(٥) الكشاف (٢/ ٥٧٤).

حساباً عادلاً رغم استعجالهم للساعة تكذيباً بها، لا يُظلمون فيه، وأكّد هذا المعنى بجملة النفي التي تليها، ويجوز تقديرها على حذف المضاف، **أي:** ذوات القسط، فيكون مجاز بالحذف(١).

وورد للدلالة على شدة الهول في هذا اليوم، قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦] فهذه الآية حديث عن يوم البعث وجمع الناس له من قبورهم بعد نفخ الملك، فتصف تفاجأ الكفار به، فأصل الكلام: مُنكر، ولكن لأنَّ المقام مقام تهويل عُدل فيه عن اسم المفعول (منكر) إلى المصدر للمبالغة، وجاء في تفسير هذه الكلمة بأنَّه ما لا يُطاق حمله(٢)، وهذا التفسير يكشف عن دقة التعبير بالمصدر، ففيه تصوير دقيق لحال الكفار، فالهول عظيم، والخطب جسيم، والحساب عسير كما ذكروا في الآية التي تليها ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨] ولذا ذكر الخليل: أنَّ هذه الكلمة تُستعمل في الأمر الشديد(٣)، وقيل: لم يروا مثله فينكرونه استعظاماً(٤) له؛ لأنّها «لم تعهد بمثله، وهو يوم القيامة» (٥)، فهي تُستعمل في الأمر الذي لا يُعرف(٦)، وهذا التفسير يتناسب مع المصدرية أيضاً، ففي التعبير به معنى الهول وشدة الخوف وتبلد الحواس، وهذا الوزن بضم الأول والثاني وزن قليل الاستعمال في الكلام ينسجم مع دلالة التهويل في الآية(٧)، فهذه الدلالة تنسجم مع

(١) الكشاف (٢/ ٥٧٤).

(٢) تفسير السمعاني (٥/ ٣٠٩).

(٣) العين (٥/ ٣٥٥).

(٤) معالم التنزيل للبغوي (٧/ ٤٢٧).

(٥) الكشاف (٤/ ٣٦).

(٦) المفردات (١/ ٨٢٤).

(٧) يُنظر روح المعاني (٢٦/ ١٨٨)، والتحرير والتنوير (٢٧/ ١٧٧).

ما قبلها وما بعدها من الجمل والآيات في تصوير مشهد البعث والنشر، ووردت هذه الكلمة نعتاً بالمصدرية في موضعين قريبة في دلالتها العامة من هذه الدلالة[١].

وأتى للمبالغة في خلوص نعيم الجنة من الكدر كما في قوله تعالى: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [الصافات: ٤٦] فموطن الشاهد قوله تعالى: ﴿لَذَّةٍ﴾ وهي النعت الثالث لأوصاف خمر الجنة، وبعض المفسرين قدره على حذف المضاف، وتقديره: (ذات لذة)[٢]، والأبلغ أن يُقال هو وصف للذة، فكأنّها نفس اللذة وعينها[٣]، فالوصف بالمصدر يُمكن الوصف[٤]، فهي لذة خالصة لا تكدر النفوس ولا تزيل العقول، وهذا التقدير يتناسب مع الآية التي تليها وهي قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات:٤٧] وبعض المفسرين جعلها من باب الاتساع فقط[٥]، ومن نعيم الجنة في الشرب أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤] فوصف الدهاق بالكأس فيه عدول من اسم المفعول إلى المصدر[٦]، ولكن الغرض هو الدلالة على معنى الامتلاء، وكلا الآيتين تفقان في الدلالة على اللذة الخالصة.

وورد في الحديث عن اليهود وما كان من عهد الله ﷻ لسابقيهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣] للمفسرين كلام كثير حول الوصف بالحسن، ومنه ضم حاء الحسن فقيل: إنَّ قراءة الضم

(١) سورة الكهف (٧٤، ٨٧)، والطلاق (٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٠٣).

(٣) الكشاف (٣/ ٣٤٠).

(٤) يُنظر التحرير والتنوير (٢٣/ ١١٣).

(٥) المحرر الوجيز (٢٣/ ٢٨٢).

(٦) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٤/ ٨٧)، والنعت بين المصدر والقياس (٣١).

وقعت بدلاً من قراءة الفتح كما في قولنا: رجل عدل[١]، وأنَّ أصل الكلام: قولاً حسناً، ويمكن أن يُقدر: (ذا حسن) أو أن يوصف بالمصدر لإفراط حسنه[٢]، فالقول في حد ذاته لا بد أن يكون حسناً يصدق فيه مع متكلمه، يُقرب من الحق ولا يُنفر منه.

وورد في مجال الدعوة إلى الإيمان بالله ﷻ وحده، وضرب الأمثال لهم لعلهم يؤمنون، وذلك في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[الزمر: ٢٩] فموطن الشاهد من هذا المقطع القرآني الجملة الأخيرة، فالوصف بالسلامة ورد بالمصدر كما في قراءة الجمهور بدلاً من الوصف باسم الفاعل[٣]، والطبري (٣١٠هـ) ساوى بين القراءتين في المعنى[٤]، وقراءة المصدر فيها معنى المبالغة[٥]، فكأنه وصف بجنس السلامة كلها، فالعبد تحت إمرة سيد واحد مستسلم لأمره، يُنقاد لمشيئته، بخلاف الآخر الذي تمزقه كثرة السيادة عليه، فهو بين أهواء متفرقة، وصنائع متضادة تجعله في اضطراب دائم، وهو مثل ضربه الله للمسلم والكافر في إفراد المؤمن العبادة لربه، ومن عبد آلهة متنوعة بحسب عملها، فآلهة للأرض وآلهة للمطر، وآلهة للخير، وآلهة للشر، وهي حجة عقلية واستدلال أُتي بها لعلهم يكفون عن غيهم.

وورد هذا الأسلوب في الحديث عن قدرته ﷻ وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك:٣] ففي الآية عدول عن اسم المفعول (مطابقة) إلى المصدر«كأنَّها لشدة مطابقتها

(١) مفاتيح الغيب (٣/ ٥٨٨)، وفتوح الغيب (٢/ ٥٥٧).

(٢) البحر المحيط (١/ ٤٥٩).

(٣) المحرر الوجيز (٢٣/ ٣٩١).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ١٩٧)، ويُنظر التحرير والتنوير (٢٣/ ٤٠١).

(٥) نظم الدرر (١٦/ ٤٩٨).

للأخرى طالبة مطابقتها بحيث يكون كل جزء منها مطابقاً لجزء من الأخرى، ولا يكون جزء منها خارجاً عن ذلك»[١]، ففي هذه اللفظة مبالغة في الدلالة على معنى المطابقة، وفي هذا دلالة على « كمال قدرته» [٢]، وهذا الوصف يمكن أن يُعبر عنه بصيغة الجمع فيُقال:(خلق سبع سموات أطباق) إلا أنَّ في التعبير الذي يلزم الإفراد دلالة على المعنى الذي ذكرته، والجملة الثانية التي تليها وهي قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ تؤكد هذا المعنى، فبين الجملتين كمال الاتصال، ويمكن أن تُعرب حالاً كما نقل الطيبي (٧٤٣هـ) عن بعض الأئمة[٣]، ويصح أن تكون الآية من مجاز الحذف على تقدير حذف المضاف، **أي:** ذا سلم[٤].

وكذلك في وصف هدايته لمن يشاء، وأن من لم يرد له الهداية فهو في ضيق شديد، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فموطن الشاهد قوله تعالى: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ فهذا التركيب الوصفي يحمل دلالة التشبيه كما ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنَّه طلب أن يُؤتى له برجل من كنانة فأتى، فسأله عن الحرجة، فذُكر أنها شجر لاتصل الحيوانات الرعوية ولا الوحشية إليها لبُعدها، فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصله الخير[٥]، فكلمة الحرج في عُرف اللغة هي أشد مراحل الضيق، وهي تناسب الوصف بالمصدرية في قراءة فتح الراء للتدليل على معنى المبالغة والكثرة في هذه الصفة، فكأنّ قلوبهم هي الضيق بعينه، وزيد هذا التأكيد بالتشبيه الذي يلي هذه الكلمة، وذكر أنَّه يجوز أن يُقدر

(١) نظم الدرر (٢٠/ ٢٢٣).

(٢) تتمة أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي (٨/ ٣٨٩).

(٣) فتوح الغيب (١٥/ ٥٣٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٥٢).

(٥) تفسير الطبري (٩/ ٥٤٤).

المضاف، فيُقال: ذو حرج[١]، وقيل: أن الحرج بمعنى الضيق فيكون تكراراً للمعنى دون اللفظ ويُراد به التأكيد[٢].

وورد في تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] فالتركيب متقارب في الجملتين الشرطيتين إلا أنَّ المعدول عنه اسم مفعول، والغرض منه المبالغة في التهديد والتخويف، أو جعل العيشة هي نفس الضيق، فهي عيشة شديدة الضيق.

ومن الموضوعات التي ورد فيها هذا الأسلوب آيات الأحكام، ومنها مسألة الحلال والحرام، وما كان من شأن المشركين في تحريم ما شاءوا وتحليل ما شاءوا ونسبته إلى الله ﷻ كذباً عليه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٨] في هذه الآية أكثر من مصدر معدول به عن اسم المفعول، فالكلمة الأولى ﴿وَحَرْثٌ﴾ فأصل الكلام: أرض محروثة، ولكن حُذف المضاف للعلم به، أو أنّه أصبح في حكم الحقيقة العرفية[٣]، ووردت بهذه الصيغة المصدرية في ثلاثة مواضع أخرى من القرآن الكريم مع اختلاف الموقع الإعرابي[٤].

والكلمة الثانية، وهي موطن الشاهد فقوله تعالى: ﴿حِجْرٌ﴾ فأصل الكلمة اسم المفعول[٥] (محجور) إلا أنَّه عُدل به إلى المصدر، وأرادوا به المبالغة فكأنَّهم لشدة حرصهم على ذلك والتزامهم بهذا التحليل والتحريم الباطل أرادوا تأكيد هذا الأمر، إلا أنَّ المصدر في هذه الكلمة لا يُراد به هذا المعنى في كل موضع، ففي

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية (/ ٢١٨١).
(٢) يُنظر البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٨٥)، وفتح القدير (٢/ ٢٢٥).
(٣) التحرير والتنوير (٨/ ٩٥).
(٤) سورة البقرة (٢٢٣)، وآل عمران (١١٧)، والشورى (٢٠).
(٥) يُنظر الكشاف (٢/ ٥٤)، ومفاتيح الغيب (١٣/ ١٦٠).

قوله تعالى ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] ذكر الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) أن المصدر غير مراد، بل ينبو عنه المقام، وأنَّ المقصود به اسم المفعول دون إرادة المبالغة(١).

وورد في وصف الجن للقران في قوله تعالى ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] ووجه تعجبهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة، وقيل: سماعهم له من أُمي، وقيل: ما فيه من أدلة وبراهين(٢)، ولذا عُدل عن كلمة (عجيب) إلى المصدر للتدليل على تفرده عن غيره، وقيل: إنّه بدل من اسم الفاعل (معجباً) فكأنّه مُعجباً يهدي إلى الرشد(٣).

وبعض المفسرين قدّر فيه: ذا عجب على حذف المضاف، ورفض دلالة الوصف بالمصدر متعللاً بأنَّ القرآن ليس هو العجب بذاته(٤).

وجاء وصف القران في آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق: ١٣] **والأصل:** فاصل، ولكنّه عُدل به للدلالة على أنّ القرآن إن كان مرجع الضمير له، أن فيه من العراقة في التفريق بين الحق والباطل، فكأنَّه هو نفس الفصل، وأكُد هذا المعنى في الآية التي تليها ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٤] وقيل: إنَّه على تقدير المضاف، **أي:** ذو فصل(٥)، والاول هو الأحسن لما فيه من زيادة في المعنى.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٣٧١).

(٢) تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٠/ ٢٤٠).

(٣) يُنظر الكشاف (٤/ ١٦٧)، ومفاتيح الغيب (٣٠/ ٦٦٦)، والبحر المحيط (١٠/ ٢٩٣)، وتفسير أبي السعود (٦/ ٣٣٥)، وفتح القدير (٥/ ٤٠٢).

(٤) يُنظر المحرر الوجيز (٢٩/ ٤٢٥-٤٢٦).

(٥) إعراب النحاس (٥/ ١٢٥).

وورد في أسلوب المقابلة في ذات السورة في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦-١٧] ففي هاتين الآيتين وصفان بالمصدر أولهما في قوله تعالى: ﴿مَّآءً غَدَقًا﴾ والثاني في قوله تعالى: ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ إلا أنَّ الأول في وصف حال من استقام فنجا وظفر، فقد وعد بالرزق العظيم، فهذا الوصف ورد بالمصدر بفتح الدال بدلاً من اسم الفاعل الوارد بكسر الدال(١)، وكلاهما قُرأ به(٢)، ومبالغة المصدر في الدلالة على معنى الكثرة، واختيار الماء له دلالة دقيقة فهو دلالة على السعة، وكناية عن طيب العيش، ويصح أن يكون مجاز مرسل علاقته السببية، ويدل الوصف بالمصدر على كثرة الماء، فكأنَّهم كانوا في زمن الجدب والقحط فوعدوا أنَّهم متى آمنوا نزل عليهم الغيب الذي به حياة أرضهم وكثرة أموالهم، وقيل: أنَّه وعد الله للصحابة الذين كانوا في شظف من العيش(٣).

وأمّا الثاني ففي وصف حال من أعرض فهُدد بالعذاب، وقيل أنَّها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي(٤)، واختيرت هذه الكلمة بهذه المادة وهذا التركيب للمبالغة في وصف شدة العذاب؛ لأنَّه فوق طاقة المعذب فلا يتحمله(٥)، وهي كلمة مستعارة في معنى المشقة(٦)، وهذا ينسجم مع دلالة الجملة الشرطية التي

(١) يُنظر معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٣٦).

(٢) المحرر الوجيز (١٤/ ٣٣٢).

(٣) يُنظر تأويلات أهل السنة (١٠/ ٢٥٥-٢٥٦)، ومفاتيح الغيب (٣٠/ ٦٧٢).

(٤) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٩٤).

(٥) يُنظر الكشاف (٤/ ١٧٠)، ومفاتيح الغيب (٣٠/ ٦٧٣).

(٦) المفردات للراغب الأصفهاني (١/ ٤٨٤).

تحمل معنى التهديد والوعيد، وقيل: أنَّه على حذف المضاف، والتقدير: عذاباً ذا صعد[١] [٢].

(١) فتح القدير (٥/ ٤٠٩).

(٢) ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[هود:٤٦] وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨] وقوله تعالى ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح:١٢] وقوله تعالى: ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن: ٩] وقوله تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾[النبأ: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾[النبأ: ٣٦].

المبحث الرابع
وقوع المصدر مفعولاً به

هذا الأسلوب لم أجد أحداً أفرده من النحاة بالكلام، وإنما وقفت عليه في شواهد ذكرها المفسرون، ولكن لم يجمعها عقد واحد، ووردة على قلة كما في دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] وما جاء في حديث الله عنه وعن ذريته في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم: ٥٠] فالتركيب في الآيتين واحد، فإنَّ الأصل: لساناً صادقاً، إلا أنَّه عُدل للمبالغة[(١)]، **والمقصد:** كثرة الثناء من الآخرين، وهذا ما كان، فقد ضُم ذكره والصلاة عليه في التشهد رفعاً لقدره[(٢)]، وخرج من ذريته أنبياء كُثر، ويُؤيد هذا ما ورد في قوله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم»[(٣)]، ومحبة الأمم له، فذكره باقٍ إلى قيام الساعة.

وجاء في قصة ذي القرنين في تخير الله عز وجل له في الأسرى في قوله تعالى: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾ [الكهف: ٨٦] ففي هذه الآية أكثر من تقدير، فقد يُقدر على حذف المضاف، **أي:** أمراً ذا حُسن فيكون من مجاز الحذف، أو يكون من باب الوصف بالمصدر مبالغة، فكأنه اتخذ فيهم نفس الحُسن[(٤)]، ووردت هذه الكلمة باحتمال هذه الدلالة في مواضع أخرى في القرآن الكريم بلغت إحدى وعشرين موضعاً تنوعت في إعرابها بين المفعولية وبين النعت بالمصدر[(٥)].

---

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ١٤٦).

(٢) يُنظر مفاتيح الغيب (٤/ ٥٨)، (٢٠/ ٢٨٤)،

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري رقم الحديث (٣٥٦٦) (باب تفسير سورة الأحزاب) (٢/ ٤٥٣)، وتفسير أبي السعود (٥/ ٤٩).

(٤) تفسير أبي السعود (٤/ ٢٢٧)، وروح المعاني (١٥/ ٥٥٦)، وفتح القدير (٣/ ٤٢٥)، والتحرير والتنوير (١٦/ ٢٧).

(٥) البقرة (٢٥٤)، وآل عمران (٣٧)، والمائدة (١٢)، والأنفال (١٧)، وهود (٣، ٨٨)، والنحل (٦٧، ٧٥)=

وورد في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق:١٠] ففي قوله تعالى: ﴿ ذِكْرًا﴾ مبالغة حيث وصُفت بالمصدر، وأصل الكلام: مُذكراً، ويُقصد به القرآن الكريم أو الرسول[١]، وقيل أنَّه: جبرئيل عليه السلام [٢] فقد جُعلا أو أحدهما كأنَّه نفس المنزل، وحقيقته أنزل على الرسول ذكراً فيه نفع كثير لكم، أو أنزل عليكم ذكراً نافعاً هادياً لكم في حال التزمتم بأوامره وتركتم نواهيه، أو «أن يجعل نفس الذكر مجازا لكثرة يقدر منه الذكر، فكأنَّه هو الذكر»[٣]، وقيل: لإمعان الرسل والمنذرين في التذكير سُموا به[٤].

ويجوز أن يكون من مجاز الحذف، فأصل الكلام: (ذا ذكر) فُحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه[٥].

وورد في المفعول به الثاني كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الأنبياء: ٣٦] فأصل الكلام: إلا مهزوءاً به، فعُدل للمبالغة لوصف نظرتهم وحالهم مع النبي صلى الله عليه وسلم فهم يكثرون من الاستهزاء به وبدعوته، فكأنَّهم جعلوه نفس الهزء، ويُؤكد ذلك طريق القصر في الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] فأصل الكلام: وجعل القمر فيهن منيراً إلا أنَّه عُدل للمبالغة في وصفه بالإنارة[١].

=والكهف (٢)، وطه (٨٦)، والحج(٥٨)، والنمل(١١)، والقصص(٦١)، والعنكبوت(٨)، وفاطر(٨)، والشورى (٢٣)، والفتح (١٧)، والحديد (١١، ١٨)، والتغابن (١٧)، والمزمل(٢٠).

(١) يُنظر مفاتيح الغيب (٣٠/ ٥٦٥).

(٢) تفسير أبي السعود (٦/ ٢٨٣).

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٢٠٤).

(٤) يُنظر نظم الدرر (١٤/ ١٠٥).

(٥) الهداية إلى بلوغ الهداية (١٢/ ٧٥٥٢)، والبحر المحيط (١٠/ ٢٠٤).

المبحث الخامس
وقوع المصدر مضافاً

ورد في المبتدأ مضافاً إلى غيره كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] فالمصدر ﴿قَصۡدُ﴾ مضاف إلى الكلمة التي تليه، واختلف في الألف واللام فيها فالزمخشري (٥٣٨هـ) ذكر أنَّها للجنس[٢]، وجعلها ابن عطية وأبو حيان (٧٤٥هـ) للعهد، ويُقصد به سبيل الشرع[٣]، وهو الأقرب، فتبين السبيل مرتبط بإظهار الحق، إضافة إلى ذكر كلمة ﴿جَآئِرٌ﴾ في الجملة التي تليها، والأصل اسم الفاعل (القاصد)، ولكن لما كان الوصف بالمصدر أقوى من اسم الفاعل عُبر به[٤]، ليتناسب مع هذا الوعد ومع من وعد.

وكذلك إضافة الخزي إلى العذاب في قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس: ٩٨] وفي قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦] فكلتا الآيتين وردتا في سياق الحديث عن العذاب، إلا أنَّ الفارق بينهما أنَّ قوم يونس كُشف عنهم بينما قوم عاد حل بهم، وهذه الإضافة جعلت الآية من باب الإسناد المجازي، وإلا فإنَّ الأصل وصف من نزل عليهم العذاب بالخزي، وكلا اللفظين (العذاب والخزي) يدلان على معنى واحد، فالعذاب في

(١) يُنظر التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠٣).

(٢) الكشاف (٢/ ٤٠٣).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٣٨١)، والبحر المحيط (٦/ ٥٠٩).

(٤) يُنظر التحرير والتنوير (١٤/ ١١٢).

حقيقته كله خزي[١] إلا أنَّ هذا التركيب أبلغ من الأصل[٢]، ففيها معنى المبالغة، فالخزي غشي قوم عاد بالتساوي، وبلغ خزيهم مبلغاً عظيماً، واختيار هذا المصدر من هذا الجذر له دلالته البلاغية أيضاً، فإنها تدل على الهوان والذل الظاهر «وأي خزيٍ أشد من أن تتراماهم الريح فِي الجو كالريشِ، وأن تلقيهم هَلكى على التراب عن بكرة أبيهم فيشاهدهم المارون، بديارهم جثثا صرعى قد تقلصت جلودهم وبليت أجسامهم كأنهم أعجاز نخل خاوية» [٣]، والعلة في غشيان الذل لهم استكبارهم عن الحق[٤].

ومما جاء من القراءات قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] فموطن الشاهد قوله تعالى ﴿ٱلسَّاحِرُ﴾ فقد قرأها حمزة والكسائي بدون ألف على المصدرية، وقُدر فيها تقديرين؛ حذف المضاف، **أي:** ذي سحر، فيكون من مجاز حذف، أو على جعل كيدهم هو السحر بعينه، فيكون تركيباً عقلياً[٥].

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٢٩٠).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٤٩) ويُنظر نظم الدرر (١٧/ ١٦٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٥٩).

(٤) ينظر مفاتيح الغيب (٢٧/ ٥٥٣).

(٥) يُنظر الكشاف (٢/ ٥٤٥)، ومفاتيح الغيب (٢٢/ ٧٥).

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث

١- اختلفت رؤى النحاة في قبول هذا الأسلوب، فبعضهم اقتصر على سماعيته وهو الرأي الذي استقر عند أكثريتهم، وبعضهم ذكره دون تعرض لهذه المسألة، وابن درستويه (٣٤٧هـ) وكثير من المحدثين كما عرفنا قبوله، وهذا هو الصحيح فإنه كثير في القرآن الكريم، ووقفت فيه على تسع وثمانين آية في ثلاث وأربعين سورة، درست منها أربع وخمسون آية، وأحلت على البقية في الهامش، لتطابقها في الأغراض مع مما ذُكر في المتن، وهذه الكثرة تدفع الباحث إلى القول بقياسته، لاسيما أنَّ القرآن الكريم هو أحد مصادر استخراج القواعد والضوابط النحوية، فإذا أضفنا له شواهد الحديث النبوي، وشواهد الكلام العربي شعره ونثره، فستكبر الحصيلة، فيدلنا هذا على شيوعه على الألسنة، وسأذكر هنا مواطن هذا الأسلوب في القرآن الكريم وفق استقرائي:

م	السورة	رقم الآية
١	سورة البقرة	٥-٨٣-١٤٣-٢١٦-٢٢٣-٢٥٤
٢	سورة آل عمران	١٤-٣٧-٩٩
٣	سورة النساء	٩
٤	سورة المائدة	١٢-٩٦
٥	سورة الأنعام	١٢٥-١٣٨-١٤٠
٦	سورة الأنفال	١٥-١٧
٧	سورة التوبة	٢٨
٨	سورة يونس	٩٨
٩	سورة هود	٣-٤٦-٨٨

١٠	سورة يوسف	١٨-٢٠-٨٠
١١	سورة النحل	٩-٦٧-٧٥
١٢	سورة الإسراء	٢٧-٤٧
١٣	سورة الكهف	٢-٩-٤٠-٤١-٨٦
١٤	سورة مريم	٢٣-٥٠-٨١
١٥	سورة طه	٦٨-٨٦-٧٧-١٢٤
١٦	سورة الأنبياء	٣٦-٤٧-٩٠-٩٨
١٧	سورة الحج	٥٨
١٨	سورة الفرقان	١٨-٦٣
١٩	سورة الشعراء	٨٤
٢٠	سورة النمل	١١
٢١	سورة القصص	٨-٦١
٢٢	سورة العنكبوت	٨-٢٥
٢٣	سورة لقمان	١٨
٢٤	سورة فاطر	٨
٢٥	سورة الصافات	٤٦
٢٦	سورة الزمر	٢٩
٢٧	سورة فصلت	١٦-٤٤
٢٨	سورة الشورى	٢٣-٣٨-٤٣
٢٩	سورة الأحقاف	١٥
٣٠	سورة الفتح	١٢-١٧
٣١	سورة الذاريات	٥

٣٢	سورة القمر	٦
٣٣	سورة الحديد	١١-١٨
٣٤	سورة الممتحنة	٤
٣٥	سورة التغابن	١٧
٣٦	سورة الطلاق	١٠
٣٧	سورة الملك	٣-٢٧-٣٠
٣٨	سورة نوح	٨- ١٦
٣٩	سورة الجن	١- ٩- ١٢- ١٦- ١٧
٤٠	سورة المزمل	٢٠
٤١	سورة النبأ	٢٦- ٣٤
٤٢	سورة البروج	٦
٤٣	سورة الطارق	١٣

ويُلاحظ أنَّ سور البقرة والكهف وطه والأنبياء والجن هي أكثر ما ورد فيها هذا الأسلوب، ولو نظرنا لها من ناحية عدد الآيات لوجدنا أن سورة الجن أكثرها تضمناً له.

١- يُعد النعت بالمصدر أكثر الأساليب الخمسة وروداً في القرآن الكريم، وأكثرها أغراضاً.

٢- أضفت في هذه الدراسة مبحثين وهما وقوع المصدر مفعولاً به ووقوعه مضافاً، وذكرت ما ورد منها من شواهد مع ذكر أغراضها.

٣- ذكرت في المطلب الثاني تخريجات النُحاة لهذا الأسلوب وأنهم يخرجونه وفق ثلاثة تقديرات، إلا أنني وجدت المفسرين يميلون إلى جعله نفس الموصوف للمبالغة، ويتبعونه بذكر حذف المضاف، وعلى قلة يذكرون المشتق، وبعضهم

اقتصر على حذف المضاف كالزجاج (٣١١هـ)، وتبعه الزمخشري (٥٣٨هـ) الذي لا يخلو موضع ذكر فيه هذا الأسلوب من ذكر هذين التقديرين، فقد كان يذكر ما في الأول من مبالغة، ويذكر الثاني كقاعدة لازمة يحتملها الكلام في هذا الأسلوب.

٤- يُعد هذا الأسلوب من أساليب المجاز التي أُسند فيها الفعل إلى غير من هو له على الأرجح، ففيه ثراء للمعنى، ودلائل دقيقة أُريد التنبيه عليها، أو لوصف المشهد واللحظة كما هي بدقة متناهية، وبلاغتها تكون عند تقديرها بالمجاز العقلي؛ لأنَّه تعطي المعنى حركة ونسقاً مليئاً بالدقائق التي تحوج إلى تأمل.

٥- يُعد الزجاج (٣١١هـ) والزمخشري (٥٣٨هـ) من أكثر المفسرين اهتماماً بهذا الأسلوب، والثاني وجدت آراءه في مفاتيح الغيب للرازي (٦٠٦هـ)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٦٨٥هـ) وأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، وممن اهتموا به ابن عطية (٥٤٢هـ) والبقاعي (٨٨٥هـ) وأبي السعود (٩٨٢)، ومن المحدثين الشوكاني (١٢٥٠هـ) والألوسي (١٢٧٠هـ) والطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ)، وورد على قلة عند الأخفش (٢٢١هـ) والطبري (٣١٠هـ) وأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ) والقرطبي (٦٧١هـ).

وفي الختام أوصي الباحثين بالبحث عن مثل هذا الأساليب والكشف من خلالها عن دقائق الأسلوب القرآني، فعلم البلاغة كما قيل: (علم نضج ولم يحترق) ويُقصد بالنضوج: "استواء مسائل العلم واستيفاؤها من كل وجوه، ومعنى الاحتراق: الانتقال من مرحلة النضوج إلى مرحلة فلسفة المسائل"[(١)].

(١) مدخل إلى البحث البلاغي للدكتور/ إبراهيم الهدهد (٣).

فهرس المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن** لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق/ مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف –المدينة المنورة– (د.ط) (د.ن).

٢. **ارتشاف الضرب من لسان العرب** لأبي حيان الأندلسي، تحقيق/ رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي– القاهرة– ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٣. **إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب (معجم الأدباء)** لياقوت الحموي، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي –بيروت– ط١، ١٩٩٣م.

٤. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** لأبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي، حققه وخرج أحاديثه/ محمد بن علي جيلاني، المكتبة التوفيقية –القاهرة– ط١، ٢٠١٣م.

٥. **إعراب القرآن** لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، اعتنى به الشيخ/ خالد العلي، دار المعرفة –بيروت– ط٢، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م.

٦. **الألفاظ** لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت– ط١، ١٩٩٨.

٧. **ألفية ابن مالك في النحو والتصريف (الخلاصة في النحو)** تحقيق د/ سليمان العيوني، دار المنهاج –الرياض– (د.ط) (د.ن).

٨. **أمالي ابن الحاجب** لأبي عمرو عثمان بن الحاجب، دراسة وتحقيق الدكتور/ فخر صالح قداره، دار الجيل – بيروت– (د.ط) (د.ن).

٩. **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين** لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق ودراسة د/ جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي –القاهرة– ط١، (د.ن).

١٠. **الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال** لأحمد بن محمد ابن المنير الإسكندري، حقق الرواية/ محمد الصادق قمحاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١١. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** لأبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، إعداد وتقديم/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي–بيروت– ط١، ١٤١٨هـ.

١٢. **الإيضاح في شرح المفصل** لأبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بـ(ابن الحاجب النحوي)

تحقيق د/ موسى بناي العليلي، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق، طبعة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م. (د.ط).

١٣. **الإيضاح في علوم البلاغة** للخطيب القزويني، شرح وتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت– ط٣، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

١٤. **البحر المحيط في التفسير** لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت– ط١٤٢٠ هـ. (د.ط).

١٥. **البرهان في علوم القرآن** لأبي عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه–القاهرة– ط١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

١٦. **البرهان في وجوه البيان** لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب، تقديم وتحقيق د/ حفني محمد شرف، مكتبة الشباب –القاهرة– طبعة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م، (د.ط).

١٧. **البلاغة (تطور وتاريخ)** للدكتور/ شوقي ضيف، دار المعارف– القاهرة– الطبعة الحادية عشرة، (د.ن).

١٨. **تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار المدني جدة، ط٢، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م.

١٩. **التخمير لصدر الأفاضل** القاسم بن حسين الخوارزمي، تحقيق د/ عبدالرحمن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي –بيروت– ط١، ١٩٩٠م.

٢٠. **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل** لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور/ حسن هنداوي، دار القلم – دمشق– ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م.

٢١. **التسهيل لعلوم التنزيل** لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ضبطه وصححه وخرج آياته/ محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية –بيروت– ط١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.

٢٢. **تصحيح الفصيح وشرحه** لابن درستويه، تحقيق د/ محمد بدوي المختون، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبعة ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م، (د.ط).

٢٣. **تفسير القرآن العظيم المسمى بتأويلات أهل السنة** لأبي منصور محمد بن محمد

السمرقندي، تحقيق/ فاطمة يوسف الخمي، مؤسسة الرسالة ناشرون-بيروت- ط١، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٤. **تفسير القرآن العظيم** لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق/ مصطفى السيد محمد وزملائه، مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث -الجيزة- ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م.

٢٥. **تفسير القرآن** لأبي المظفر منصور بن محمد المروزي السمعاني، تحقيق/ غميم عباس غنيم، دار الوطن -الرياض- ط١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.

٢٦. **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك** لابن أم قاسم المرادي ، شرح وتحقيق د/ عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي- القاهرة- ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م.

٢٧. **توضيح النحو** للدكتور/ عبدالعزيز فاخر، المكتبة الأزهرية للتراث -القاهرة- (د.ط) (د.ن).

٢٨. **جامع البيان في تأويل آي القرآن** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق د/ عبدالله عبدالمحسن التركي، ، دار هجر للطباعة والنشر-الجيزة- ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م.

٢٩. **الجامع لأحكام القرآن** لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د/ عبدالله عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة -بيروت- ط١، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٠. **الجملة والمعنى** للدكتور/ فاضل السامرائي، دار ابن حزم -بيروت- ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م.

٣١. **جمهرة اللغة** لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، حققه وقدم له د/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.

٣٢. **الجنى الداني في حروف المعاني** لابن أم قاسم المرادي، تحقيق د/ فخر الدين قباوة والأستاذ/ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية -بيروت- ط١، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.

٣٣. **حاشية الصبان (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)** لأبي العرفان محمد بن علي الصبان، تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوقيفية. (د.ط) (د.ن).

٣٤. **الخصائص** لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق/ محمد علي النجار، المكتبة العلمية – بيروت- (د.ط) (د.ن).

٣٥. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** لأبي العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د/ أحمد الخراط، دار القلم -دمشق- (د.ط) (د.ن).

٣٦. **دراسات لأسلوب القرآن الكريم** للدكتور/ محمد عبدالخالق عضيمة، دار الحديث – القاهرة– (د.ط) (د.ن).

٣٧. **درة الغواص** للقاسم بن علي الحريري، تحقيق وتعليق/ عبدالحفيظ فرغلي علي القرني، دار الجيل –بيروت– ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.

٣٨. **دلائل الإعجاز** لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق/ محمود شاكر، دار المدني– جدة– ط٣، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.

٣٩. **ديوان أبي الطيب المتنبي**، تحقيق د/ عبدالوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة– (د.ط) (د.ن).

٤٠. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** لأبي الثناء محمود بن عبدالله الألوسي، تحقيق/ ماهر حبوش وزملائه، مؤسسة الرسالة –بيروت– ط١، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م.

٤١. **زاد المسير في علم التفسير** لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق/ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي –بيروت– ط٣، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

٤٢. **سر صناعة الإعراب** لابن جني، تحقيق الدكتور/ حسن هنداوي، دار القلم –دمشق– ط١، ١٩٨٥م.

٤٣. **شرح التسهيل المسمى بـ(تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)** لمحب الدين محمد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش، دراسة وتحقيق الدكتور/ علي محمد فاخر وزملائه، دار السلام–القاهرة– ط١، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.

٤٤. **شرح التسهيل لابن مالك**، تحقيق الدكتور/ عبدالرحمن السيد، والدكتور/ محمد بدوي المختون، دار هجر –الجيزة– ط١، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م.

٤٥. **شرح الرضي على كافية ابن الحاجب** لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح وتحقيق الدكتور/ عبد العال سالم مكرم، دار عالم لكتب– القاهرة– ط١. ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م.

٤٦. **شرح الكافية الشافية** لجمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الطائي، حققه وقدم له د/ عبدالمنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث– القاهرة– ط١، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م.

٤٧. **شرح المفصل** لابن يعيش، عناية المستشرق جوستاف ياهن، مطبعة ليبزغ، طبعة ١٨٨٢م، (د.ط).

٤٨. **شرح جمل الزجاجي** لأبي الحسن علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور الإشبيلي، قدم له ووضع هوامشه/ فؤاد الشعار، إشراف/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية – بيروت– ط١، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.
٤٩. **شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى**، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني المعروف بثعلب، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية –القاهرة– ط٣، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م.
٥٠. **شرح كتاب سيبويه** للسيرافي، لأبي سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي، تحقيق/ أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية –بيروت– ط١، ٢٠٠٨م.
٥١. **شروح التلخيص**، دار البصائر –القاهرة– ط١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م.
٥٢. **الصناعتين (الكتابة والشعر)** لأبي هلال العسكري، تحقيق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي– القاهرة– ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢م، (د.ط).
٥٣. **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** ليحيى بن حمزة العلوي، تقديم الدكتور/ إبراهيم الخولي، طبعة ٢٠٠٩م، (د.ط).
٥٤. **عناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية الشهاب علة أنوار التنزيل وأسرار التأويل)** لأحمد بن محمد بن عمر الشهاب الخفاجي، الطبعة الخديوية ١٢٨٣ هـ ، تصوير دار صادر – بيروت–، (د.ط).
٥٥. **العين** لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د/ مهدي المخزومي ود/ إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، (د.ط) (د.ن).
٥٦. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** للحسين بن محمد بن حسين النيسابوري، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ/ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية –بيروت– ط١، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.
٥٧. **الفائق في غريب الحديث** والأثر لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، مطبعة عيسى البابي وشركاه، ط٢، (د.ن).
٥٨. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** لمحمد بن علي الشوكاني، دار الوفاء–القاهرة– (د.ط) (د.ن).
٥٩. **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب** لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي، تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف د/ محمد عبدالرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣م.

٦٠. **الكتاب** لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح/ عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة– ط٤، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م.

٦١. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، حقق الرواية/ محمد الصادق قمحاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م.

٦٢. **الكناش في فني النحو والصرف** للملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن الأفضل بن علي الأيوبي، تحقيق الدكتور/ رياض الخوام، المكتبة العصرية –بيروت– ط١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م، (د.ط).

٦٣. **اللغات في القرآن** لعبدالله بن الحسين بن حسنون المقرئ، حققه ونشره/ صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة –القاهرة– ط١، ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦م.

٦٤. **اللغة والنحو بين القديم والحديث** لعباس حسن، دار المعارف–القاهرة– طبعة ١٩٦٦م، (د.ط).

٦٥. **المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي** لأبي العباس أحمد بن علي الأزدي، تحقيق د/ عبدالعزيز المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض– ط٢، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٦. **مجاز القرآن** لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق/ محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي – القاهرة– طبعة ١٣٨١هـ (د.ط).

٦٧. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق/ الرحالة فاروق وزملائه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ط٢، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.

٦٨. **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة** لعلي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق/ عبدالستار أحمد فراج، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية– ط١، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨م.

٦٩. **مدخل إلى البحث البلاغي** للدكتور/ إبراهيم صلاح الهدهد، مكتبة وهبة –القاهرة– ط٢، ١٤٤٠ هـ/ ٢٠١٩م.

٧٠. **المسائل الحلبيات** لأبي علي الفارسي، تقديم وتحقيق الدكتور/ حسن هنداوي، دار القلم –دمشق– ط١، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

٧١. **المسائل السفرية في النحو** لابن هشام الأنصاري، تحقيق الدكتور/ حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت– ط١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.
٧٢. **مسائل نافع بن الأزرق عن عبدالله بن عباس**، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، مطبعة الجفان والجابي–قطر– ط١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م.
٧٣. **المستدرك على الصحيحين** لأبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري، تحقيق/ مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية –بيروت– ط١، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠م.
٧٤. **مشكل إعراب القرآن** لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د/ حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة –بيروت– ط٢، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤م.
٧٥. **المطول** لسعد الدين التفتازاني، تحقيق د/ عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت– ط٢، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م.
٧٦. **معالم التنزيل** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه/ محمد عبدالله النمر، دار طيبة – الرياض– طبعة ١٤١٢ هـ ، (د.ط).
٧٧. **معاني القرآن** لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تحقيق الدكتورة/ هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي –القاهرة– ط١، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠م.
٧٨. **معاني القرآن وإعرابه** لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، شرح وتحقيق د/ عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب –بيروت– ط١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.
٧٩. **معاني النحو** للدكتور فاضل السامرائي، دار الفكر –عمان– ط٢، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م.
٨٠. **مفاتيح الغيب** لأبي عبدالله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي –بيروت– ط٣، ١٤٢٠ هـ.
٨١. **مفردات ألفاظ القرآن** للراغب الأصفهاني، تحقيق / صفوان عدنان داوودي، دار القلم –دمشق– ط٤، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م.
٨٢. **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية** لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق الدكتور/ عياد الثبيتي، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى– مكة المكرمة– ط١، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م.
٨٣. **مقاييس اللغة** لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط/ عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة– ط١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م، (د.ط).

٨٤. **المقتضب** لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق/ محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف المصرية –القاهرة– طبعة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م، (د.ط).

٨٥. **ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل** لأحمد إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق/ سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي – بيروت– ط٢، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م.

٨٦. **من أسرار اللغة** للدكتور/ إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية –القاهرة– ط٣، ١٩٦٦م.

٨٧. **منهج السالك إلى ألفية ابن مالك** لعلي بن محمد بن عيسى الأشموني، حققه/ محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي– بيروت– ط١، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م.

٨٨. **النحو الوافي** للأستاذ/ عباس حسن، دار المعارف –القاهرة– ط١٨، ٢٠١٦م.

٨٩. **نظم الدرر في تناسي الآيات والسور** لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الطبعة الهندية، ط١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.

٩٠. **نقد الشعر** لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق/ كمال مصطفى، مكتبة الخانجي– القاهرة– ط٣.

٩١. **(النكت في إعجاز القرآن) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق/ محمد خلف الله أحمد، والدكتور/ محمد زغلول سلام، دار المعارف– القاهرة– (د.ط) (د.ن).

٩٢. **الهداية إلى بلوغ النهاية** لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف د/ الشاهد بو شيخي، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م.

٩٣. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** لجلال الدين السيوطي، تحقيق د/ عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية –الكويت– طبعة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

البحوث العلمية:

- **النعت بين المصدر والقياس** للدكتور/ صالح بن عبد المعز العشيري مجلة كلية الآداب بجامعة بني سويف – مصر– ، نشر في ٢٠١٤م في عدد خاص.
- **الوصف بالمصدر** للدكتور/ أحمد عبد الستار الجوادي، مجلة المجمع العلمي – بغداد– مجلد ٣٥، ج١، سنة النشر ١٩٨٤م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٢٩١
المقدمة	٢٩٢
المطلب الأول: مدخل إلى مفاهيم البحث	٢٩٤
المطلب الثاني: الوصف بالمصدر في التنظير النحوي	٢٩٦
المطلب الثالث: الوصف بالمصدر في التنظير البلاغي	٣٠٤
المبحث الأول: وقوع المصدر خبر للمبتدأ أو لنواسخه	٣٠٧
المبحث الثاني: وقوع المصدر حالاً	٣١٥
المبحث الثالث: وقوع المصدر نعتاً	٣٢٠
المبحث الرابع: وقوع المصدر مفعولاً به	٣٣٢
المبحث الخامس: وقوع المصدر مضافاً	٣٣٤
نتائج البحث	٣٣٦
فهرس المصادر والمراجع	٣٤٠
فهرس الموضوعات	٣٤٨